جامعة جنوب الوادي

مقرر

البلاغة العربية

ازهار الربيع في فنون البديع

(الفرقة الثالثة- شعبة اللغة العربية تعليم أساسي)

أستاذ المقرر

أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم محمد

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

العام الجامعي

٢٠٢٣م/٢٠٢٤م

بيانات الكتاب

الكلية: كلية التربية بقنا.

الفرقة: الثالثة.

القسم: تعليم أساسي.

المقرر: بلاغة عربية

التخصص: اللغة العربية والتربية الإسلامية.

عدد الصفحات: مائة وستون صفحة.

المؤلفون: أ.م.د. حمد اللّه عبد الحكيم محمد

كود المقرر: ٣١٢ أ د

الرموز المستخدمة

شرح لقواعد العلم.

نصوص للقراءة.

أنشطة ومهام.

تدريب للتفكير والتقييم الذاتي.

قال البديع سبحانه وتعالى:

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

(سورة البقرة:١١٧)

مقدمة

الكتاب يلقي الضوء على الدرس البلاغي في علم من علومها وهو علم البديع الذي ظل لفترات ينظر إليه الدرس البلاغي على أنه لون من التزيين والتحسين أو وضع اللمسة الأخيرة بعد مراعاة التركيب والصورة، ولكن هذا يحتاج إلى نظر لأن قيمته أعلى من هذه النظرة الجائرة، وما يقدمه البديع لا يقل أهمية عن علمي المعاني والبيان؛ فلكل طريقته ولكل منهجه في إبراز جماليات النصوص، وبيان أسلوب الأدباء والشعراء في عرض فنونهم نثرية كانت أو شعرية.

وتبين الدراسة طريقة تطور المصطلح البديعي منذ نشاته على يد الشعراء مرورا بدور ابن المعتز وجهوده ثم الجاحظ وقدامة بن جعفر وأبوهلال العسكري وابن رشيق القيرواني وعبد القاهر الجرجاني وابن مالك وابن أبي الإصبع المصري والسكاكي والقزويني، وأصحاب البديعيات؛ كالأربلي والبيروتي والساعاتي وغيرهم.

كما يعرض لتطور فنون البديع في فترات أصبح البديع يستوي مع مصطلح البلاغة وتداخل فنون البيان والمعاني معه، ثم نعرض لتقسيم السكاكي للمحسنات، واستقرار الدرس البلاغي ليصبح البديع قسما من أقسام البلاغة في القسم الثالث من كتاب الإيضاح للخطيب القزويني.

وتناول الكتاب عرض الفنون المعنوية؛ كالطباق والمقابلة والتورية والتناسب ومراعاة النظير واللف والنشر والتوجيه وغيرها، كما عرض لفنون اللفظية؛ كالجناس والسجع ورد العجز على الصدر وغيرها

وعرض لأساليب أخرى؛ كالاقتباس والتضمين والحل والعقد وغيرها

وبهذا نضع لدى القارئ صورة من صور فنون البديع التي كان ينظر إليها في القديم كألوان من المحسنات والزينة العرضية، ولكنها في الحقيقة لا تقل أهمية عن دراسة المعاني والتراكيب ودلالاتها والصورة البيانية لما لها من قيمة في لفت الانتباه وروعة التعبير وصدق التجربة التي تعبر عما يجول في خاطر المبدع، ولها دور في الكشف عن أسرار نفسه وأسباب تفضيل لون على آخر.

د.حمد اللّه عبد لحكيم

التمهيد

تطور المصطلح البديعي

البديع في معاجم اللغة: بدع الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه أنشأه وبدأه، والبديع والبِدع: الشيء الذي يكون أولًا. وفي التنزيل: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ) (الأحقاف:٩) أي: ما كنت أول من أرسل فقد أرسل قبلي رسل كثيرون.

والبديع المبدع، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال سابق، والبديع من أسماء اللّه تعالى؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء. قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (البقرة: ١١٧)؛ أي: خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المبدئ لا عن مثال سابق.

و(بديع) فعيل بمعنى فاعل، كقدير بمعنى قادر، وأبدع الأديب جاء بالبديع، وأتى به، وأبدعت الركاب إذا كلت، وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث بديع، وتدور مادة بدع حول: الجديد المبتكر، والمحدث العجيب، والمخترع على غير مثال سابق، والحسن الخلق.

البديع: (لغة): المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتقٌ من قولهم - بدع الشيء، وأبدعه، اخترعه لا على مثال.

والبديع (اصطلاحا): هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.

مقتضى الحال في علم المعاني، ووضوح الدلالة خاص بعلم البيان، وكل من البديع والعروض من العلوم التي تهتم بالناحية الصوتية والنغم والجرس.

"البديع: تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمّى العلم الجامع لطرق التزيين"[١]

مراحل تطور البديع

١- دور الشعراء في ظهور مصطلح البديع

[١] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، ص ٤٣.

أطلق مصطلح البديع في هذه الحقبة على الشعر المحدث الذي أتى به شعراء العصر العباسي وهؤلاء الشعراء هم أول من أطلق هذا المصطلح على الشعر الجديد المتميّز عن سابقه بجمالية التعبير وحداثته، ورد في كتاب الأغاني عن دور مسلم بن الوليد في اختراع المصطلح وتطبيقه: أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف. وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه. ومسلم كان متفنّنا متصرفا في شعره؛ انظر إلى البديع في مطلع قصيدته في فتح عمورية لتعرف قدر ولعه بالبديع وهي أجود قصائده:

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ
بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

كما كثر البديع في شعر مسلم بن الوليد حتى أولع به في شعره واشتهر بإجادة المدح من مثل قوله في مدح يزيد بن مزيد:

تَلْقَى المَنِيّةَ في أمْثَالِ عُدَّتِها كالسَّيفِ يَقْذِفُ جَلَمُوداً بِجُلْمود
تَجُودُ بالنَّفسِ إن ضَنَّ الجَوادُ بِها والجُودُ بالَّنفْسِ أقْصى غايةَ الجُودِ

وقد وضع مصطلحات لبعض المحسنات اللفظية والمعنوية من مثل الجناس والطباق.

٢- دور الكُتاب وتطور المصطلح

نسب إلى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) وضع مصطلح البديع؛ فقد ورد في كتابه (البيان والتبيين)، قوله: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان، والشاعر الراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار"[١].

[١] البيان والتبيين: ص ٥٨٤.

وكما كانت نشأة المصطلح عند الشعراء فقد نهض ابن المعتز بوضع كتاب ينتصر فيه للعرب، وتتجه جملة الآراء إلى ربط اسم البديع ونشأته ووضعه بـ (عبد اللّه بن المعتز العباسي) ت سنه ٢٩٦ هـ، في كتاب أسماه (البديع) وقيل إنه ألفه سنة ٢٧٤هـ ردا على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم.

وقيل واضع هذا العلم لأنه أول من أفرده بدراسة مستقلة، لكنها لم تكن خالصة لفروع البيد بل اختلط بعلم البيان. يقول ابن المعتز عن هدفه من تأليف الكتاب: "قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول اللّه (صلي اللّه عليه وسلم) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشّارا ومسلما، وأبا نواس ومن تقيّلهم، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم"[١]

ثم يقول: "وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع"[٢]

وقد جعل ابن المعتز فنون البديع خمسة، هي: الاستعارة، والتجنيس، والطباق، ورد الأعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي.

ولعل ابن المعتز قد أصاب في نهوضه بهذا المهمة؛ لأن الشعر الجاهلي والإسلامي والعباسي والخطب العربية من قديمها حتى عصره والقرآن والحديث النبوي كل ذلك جرت فيه فنون البديع، وإن كان يطلق البديع هنا مساويا لمصطلح البلاغة فقد أورد فيه من علم المعاني والبيان أمثلة وشواهد وإنما البديع الذي استقر بعد ذلك كان يختلف جملة وتفصيلا عما جمعه ابن المعتز؛

---

[١] البديع، ابن المعتزّ، ص ٧٣ - ٧٤.

[٢] السابق: ص٧٦.

وإلى ذلك يشير د. شفيع السيد؛ حيث يقول: "وليس لكلمة البديع التي جاءت في عنوان الكتاب صلة بما سماه البلاغيون في العصور المتأخرة (علم البديع) ... وإنما المقصود بها ألوان طريفة من التعبير لم تكن شائعة مألوفة في استعمالات الشعراء والكتاب"[1]

وعلى كل فمحاولات ابن المعتز وتسميتة لهذه الكثرة بالبديع قاصدا الجديد المخترع من المعاني والألفاظ المزينة والمزخرفة لأقوال الشعراء في تلك الفترة، يعد بمثابة المؤسس لظهور علم ثالث للبلاغة هو علم البديع

وجاءت إضافات في هذا الفن إلا أنها ظلت قلقة غير مستقرة كمحاولات قدامة بن جعفر وهو من أشهر نقاد هذا العصر كان اهتمامه بالنقد ولما كانت البلاغة والنقد يكمل بعضهما الآخر أضاف قدامة إلى محاولة ابن المعتز في علم البديع وإضافته جاءت في كتابه (نقد الشعر). وكان قدامة كان نصرانيا ثم اعتنق الإسلام في أواخر القرن الثالث الهجري، ت: ٣٣٧ هـ، وقد درس فيما درس الفلسفة والمنطق وتأثر بهما تفكيرا ومنهجا في كل مؤلفاته التي بلغت أربعة عشر كتابا في موضوعات شتى من الأدب وغيره.

وقد بلغت المحسنات البديعية التي أوردها أربعة عشر فنا؛ وهي: الإشارة، الإرداف، التمثيل. التكافؤ، التوشيح، الإيغال، الالتفات، الترصيع، الغلو، صحة التقسيم، صحة المقابلات، صحة التفسير، التتميم، المبالغة.

ثم جاء أبو هلال العسكري (ت ٣٩٦ هـ) في كتاب الصناعتين الذي ابتكر فيه ستة أنواع؛ هي: : التشطير، والمجاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطّف. وجاء علم البديع في الباب التاسع من أبواب الكتاب وقسمه إلى خمسة وثلاثين فصلا ، وأخرج منه أنواعا رأى أنها لا تدخل تجت مصطلح البديع، وقد بدأ المطلح يتجه إلى التخصص.

[1] البحث البلاغي عند العرب: ص ٦٩.

وقد كان يميل كسابقه ابن المعتز إلى فضل العرب في هذا؛ يقول: "فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها، وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف، وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة"[1]

ثم أتى ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦ هـ) وكتابه (العمدة) ليفرد بابا بعنوان: باب المخترع والبديع، مشيرا إلى وفرة ضروب البديع، وذكر ثلاثة وثلاثين بابا منه هي: المجاز، الاستعارة، التمثيل، المثل السائر، التشبيه، الإشارة، التتبيع، التجنيس، الترديد، التصوير، المطابقة، المقابلة، التقسيم، التفسير، الاستطراد، التفريع، الالتفات، الاستثناء، التتميم، المبالغة، الإيغال، الغلو، التشكيك، الحشو وفضول الكلام، الاستدعاء، التكرار، نفي الشيء بإيجابه، الاطّراد، التضمين والإجارة، الاتساع، الاشتراك، التغاير.

ثم أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) في كتابه (البديع في نقد الشعر) جمع خمسة وتسعين نوعا على غير فصل بين البيان والبديع والمعاني حتّى ليصحّ فيه ما قاله ابن أبي الإصبع "وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل، وضم غير البديع والمحاسن، كأنواع من العيوب، وأصناف من السرقات"

وفي القرن الخامس الهجري نلتقي بأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت: ٤٧١ه، واشتهر بكتاب دلائل الإعجاز الذي وضع فيه نظرية علم المعاني، وكتابه «أسرار البلاغة» الذي وضع فيه نظرية علم البيان.

فقد تكلم في (أسرار البلاغة) عن ألوان من البديع هي: الجناس، والسجع، وحسن التعليل، مع الإشارة أحيانا إلى الطباق والمبالغة.

[1] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص ٢٧٣.

وحديثه عن هذه المحسنات ليس لأغراض بديعية بمقدار ما هو لأغراض بيانية، فقد أراد أن يثبت أن الجمال فيهما لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي، وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيبا يؤثر في النفس، ويضرب لذلك مثلا من أمثلة الجناس وهو قول أبي الفتح البستي:

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني

ويعلق عليه بقوله: "قد أعاد- الشاعر- عليك اللفظ، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة، من حلى الشعر، ومذكورا في أقسام البديع"[1]

وجاء كلامه عنها في معرض الاستدلال على نظريته القائلة بأن الألفاظ ليست لها مزية ذاتية في الكلام من حيث هي ألفاظ، وإنما المزية تأتي دائما من قبل التراكيب وصورة نظمها وتأليفها.

ثم شهد البديع تقسيما إلى محسنات معنوية ولفظية أو مرة عند السكاكي، وهو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ت: سنة ٦٢٦هـ. درس علوم الفلسفة والمنطق والفقه وأصوله واللغة والبلاغة يدرسها حتى أتقنها.

وللسكاكي مصنفات كثيرة أهمها كتاب مفتاح العلوم الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام أساسية: قصر القسم الأول منها على علم الصرف وما يتصل به من الاشتقاق بأنواعه، كما جعل القسم الثاني منه لعلم النحو أما القسم الثالث فخص به علم المعاني وعلم البيان، وملحقاتهما من البلاغة والفصاحة، والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية.

كما أضاف إلى علوم البلاغة علوما تحتاج إليها كعلوم المنطق والعروض والقافية فقد أفرد لكل منها مبحثا خاصا وحيزا في كتابه. وبذلك اشتمل كتاب

[1] أسرار البلاغة ص: ٤ - ٥.

المفتاح على علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق والعروض والقافية والمحسنات البديعية.

شيء آخر أن السكاكي لم يأت في كتابه المفتاح على كل المحسنات البديعية التي كانت معروفة إلى عصره، وإنما اقتصر منها على ستة وعشرين نوعا، لعلها كانت في نظره أهم من غيرها أثرا في تحسين الكلام لفظا ومعنى، كما أنه لم يزد على المحسنات جديدا من عنده.

والمحسنات البديعية المعنوية التي أوردها في كتابه بلغت عشرين نوعا، هي: المطابقة، والمقابلة، ومراعاة النظير، والمزاوجة، والمشاكلة، والإيهام، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه، والاعتراض، والالتفات، والاستتباع الذي سماه الفخر الرازي الموجّه، وسوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ، وتقليل اللفظ ولا تقليله مما يدخل في بعض صور الإيجاز والإطناب.

أما المحسنات البديعية اللفظية التي أوردها فهي: الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والقلب، والاشتقاق، والترصيع.

ولابن أبي الأصبع المصري (ت سنة ٦٥٤ هـ) دور في الدراسات البديعية، فقد وضع كتاب تحرير التجبير، وكتاب بديع القرآن.

وفي كتاب تحرير التحبير، أحصى ابن أبي الأصبع المصري فيه من المحسنات البديعية مائة وعشرين نوعا، جمعها من سابقيه ومن بينها ثلاثون محسنا أضافها هو، وفي كتابه بديع القرآن عرض لما في القرآن من محسنات بديعية بلغ بها مائة محسّن وثمانية. فكان كتب التحرير تنظيرا وبديع القرآن تطبيقا على فنون البديع، ولم تخلو هذه الفنون من التداخل مع المعاني والبيان.

وفي هذا الوقت ظهرت البديعيات وهو نظم لقواعد البديع مع مديح لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ومن هؤلاء علي بن عثمان الأربلي ت: سنة ٦٧٠ هـ، كان معاصرا لابن أبي الأصبع، نظم قصيدة مدح من ستة وثلاثين بيتا في كل بيت منها نوع من أنواع البديع التي كانت شائعة في عصره. وقد وضع بإزاء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي تضمنه، وكانت هذه باكورة محاولات نظم البديعيات، وومن نظموا البديعيات البيروتي أحمد البربير البيروتي الذي ولد في دمياط ونشأ في بيروت وتوفي في دمشق سنة ١٢٢٦هـ، والساعاتي ت: سنة ١٢٩٨هـ، وهو الأديب الشاعر محمود صفوت الزيلع الشهير بالساعاتي ولد في القاهرة سنة ١٢٤١ه وغيرهم.

ثم جاء بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك ت: سنة ٦٨٦ هـ، ووضع كتاب المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع، لخص فيه كتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

جعل هذه الفنون علما مستقلا بذاته سماه علم البديع، وبذلك مهد الطريق أمام البلاغة لتصبح متضمنة علوما ثلاثة: المعاني والبيان والبديع، ذكر منها أربعة وخمسين نوعا.

وأخيرا استقر الدرس البلاغي أو البديعي عند الخطيب القزويني (ت:٧٣٤ هـ) في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة، الذي قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام المعاني والبيان والبديع وسبقته مقدمة عن الفصاحة في المفرد والكلام وبلاغة الكلام، وقد أفرد القسم الثالث لعلم البديع الذي تضمن عنده المحسنات المعنوية وهي: المطابقة، المقابلة، مراعاة النظير، تشابه الأطراف، التفويف، الإرصاد، المشاكلة، الاستطراد، المزاوجة، العكس، التورية، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع، التفريق، التقسيم، الجمع مع التفريق، الجمع مع التقسيم، الجمع مع التقسيم والتفريق، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح،

الاستتباع، التوجيه، الهزل الذي يراد به الجدّ، تجاهل العارف، القول بالموجب، الاطراد.

وفي المحسنات اللفظية تضمّن: الجناس، ردّ العجز على الصدر، السجع، الموازنة، القلب، التشريع، لزوم ما لا يلزم، وأنهى الباب بكلام على شرط الحسن في البديع اللفظي.

وقد استقرت بكتابه البلاغة في علومها الثلاثة واتجه العلماء إلى الشروح والمطولات والحواشي مما أوقف تمدد البحث البلاغي عند هذا، فتقعيد البلاغة أمر يحصر مالا حدود له في حدود ضيقة، والبلاغة مناسبة اختيار التعبيرات للموقف اعتمادا على الذق السليم والفطرة السوية.

الفصل الأول

فنون

البديع المعنوي

الطباق

ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ

الطباق لغة: وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المطابق والمطبق[1]، وهو من طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده[2]، وفي القرآن الكريم ذكر السموات الطباققال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) (الملك:٣)؛ أي: التي بعضها فوق بعض، وتدور مادة الطباق حول: الموافقة والمساواة والمناسبة.

الطباق أوالتضاد (اصطلاحا): وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة.

أنواع الطباق بين المعاني له صور، منها ما يلي:

(١) التناقض: كالوجد والعدم، والإيجاب والسلب.

(٢) التضاد: كالأسود والأبيض، والقيام والقعود.

(٣) التضايف: كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق.

الطباق الظاهر وأنواعه:

قد يقع بين اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين؛ ويكون بين اسمين؛ كقوله تعالى **(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)**(الكهف:١٨)، وقوله تعالى: **(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** (الحديد:٣)؛ وقول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مر باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فطابق بين (حلو) و(مر).

---

[1] العين: (مادة طبق).

[2] المثل السائر:٢/٢٦٤.

أو بين فعلين، كقوله تعالى: **(تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)** (آل عمران:٢٦)، وكقول الإمام علي -كرم الله وجهه-: (من رضي عن نفسه كثر من يسخط عليه)، وقول بشار بن برد:

إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لها عمرا ثم نم

أو بين حرفين؛ نحو: قوله تعالى:**(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)**(البقرة:٢٢٨)، وقول الشاعر:

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

أو مختلفين؛ نحو: قوله تعالى **(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** (غافر:٣٣)

بين فعل واسم، ونبحث في سر العدول عن الطباق بالصيغة نفسها.

ويسمى الطباق موافقة وتناسبا ومساواة؛ لأن المتكلم المطابق في كلامه يوافق بين المعنيين المتقابلين، ويسوي بينهما، ويسمى الطباق فيما مضى طباقا ظاهرا.

الطباق الخفي

لون من ألوان الطباق يجمع بين لفظين متضادين بنهما لون من الخفاء مما يحتاج من المتلقي إلى تأويله.

نحو قوله تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** (الفتح:٢٩)؛ لأن الشدة يقابلها اللين، واللين لين لضعف أو لقوة، فعدل إلى الرحمة لأنها لين لقوة، ويقابل الرحمة الغلظة وهي لن تفي بالغرض هنا؛ لأنه –تعالى-يقصد الشدة مع العدل والفضل، ولا يوجد ذلك إلا في الشدة دون الغلظة التي لا رحمة ولا عدل فيها.

كالمطابقة بين أسماء الإشارة؛ نحو قول الشاعر:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

بين هاتان للقرب وتلك للبعد.

ومثل ذلك كقوله تعالى: **(إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)** (يس:١٥، ١٦) ومعناه: ربنا يعلم إنا لصادقون، فالرد على مكذبيهم بأسلوب القصر: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) بقولهم: (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) يهدم زعمهم مع التوبيخ لما ذكروا لهم من آيات بينات لا ينكرها إلا جاحد؛ لأن أساس الرسالة الأول هو الصدق، فإثبات الرسالة لإنسان يعني إثبات الصدق له، فالرسالة والصدق أمران متلازمان، ومن هنا فُهم معنى الصدق من قولهم: (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)

طباق الإيجاب وطباق السلب:

والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب كما ذكرنا، وإلى طباق السلب؛ وهو الذي يكون بين معنيين متضادين أحدهما مثبت والآخر منفي، أو بين أمر ونهي؛ كقوله تعالى: **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** (الروم: ٦،٧)، وقوله: **(فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)** (المائدة: ٤٤)

وقول الشاعر:

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

بين (ننكر) و(لا ننكر).

وقول البحتري:

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

وبين (أعلم) و(لا أعلم).

وقول أبي الطيب:

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا

وبين (عرفت) و(ما عرفت)

وقول الشاعر:

خلقوا وما خلقوا لمكْرُمَة فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

بين (خلقوا) و (وما خلقوا)، وبين (رزقوا) و(ما رزقوا).

ويعتمد طباق السلب والإيجاب على تكرار اللفظ مرة أخرى؛ ليفاجأ السامع بالتكرار مع نفي اللفظ السابق.

إيهام التضاد

وهو الجمع بين لفظين يتضادان في ظاهرهما ولكن معنيهما غير متضادة؛ لأنها لم تُستخدم في حقائقها ولم تُنقل إلى معانٍ متضادة للمجاز، فالتضاد هنا تضاد ظاهري فقط، فالطباق لا يقوم على التضاد في ظاهر الألفاظ وإنما يقوم على التضاد في المعاني؛ ومنه قول أبي تمام:

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا

في هذا البيت إيهام التضاد بين طهارة الأحساب وسواد المنايا.

وقوله أيضا في الشيب:

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع

في هذا البيت إيهام التضاد بين بياض الشيب ووقعه على القلب.

وقول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

في هذا البيت إيهام التضاد بين بياض الشيب والبكاء، فقد استعار الشاعر لظهور بياض الشيب فعل (ضحك فكان الضحك مقابلا للبكاء الحقيقي مقابلة تضاد.

ومنه قول قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

و(الظلم) ليس بضد (المغفرة)، وإنما يوهم بلفظه أنه ضد.

ومن ذلك قول مسلم بن الوليد:

مستعبر يبكي على دُمنة ورأسه يضحك فيها المشيب

وفنون الطباق سهلة في إدراك الألفاظ صعبة عالية في فهم مقاصدها، تحتاج من المتلقي إلى تقليب النظر مرة بعد مرة لإدراك مغزاها والوقوف على أسرارها، وتنوع طرقها ليناسب كل لون ذلك المقام الذي ورد فيه؛ فمن طباق ظاهر إلى خفي، ومن طباق إيجاب إلى سلب، ومن طباق يوهم صاحبه توافق الألفاظ في ظاهرها فإذا بحث في المعاني وجد مفاجأة الإيهام فيزيد الأمر بلاغة وإمتاعا.

وقد أورد أبو هلال العسكري أمثلة في جماليات الطباق ودوره في صواب المعنى لنقد أبي بكر بن دريد لشاعر قال:

طرقتك عزّة من مزار نازح يا حسن زائرة وبعد مزار

ثم قال أبو بكر لو قال: (يا قرب زائرة وبعد مزار) لكان أجود، وكذلك هو لتضمّنه الطّباق."[1]

وفي قصيدة الهمزية في مدح النبي الكريم لأحمد شوقي؛ ومطلعها:

وُلِـدَ الـهُـدى فَـالكائِناتُ ضِياءُ وَفَـمُ الـزَمـانِ تَـبَـسُّـمٌ وَثَناءُ

ثم يعرض لعدد من المتقابلات يبين من خلالها جمال النفس المحمدية في جلب الخير ودفع الضر عن الناس:

لمّا دَعَوتَ الناسَ لَبّى عاقِلٌ وَأَصَمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ

وَمِنَ العُقولِ جَداولٌ وَجَلامِد وَمِنَ النُفوسِ حَرائِرٌ وَإِماءُ

[1] الصناعتين: ص ١٣٩.

داوَيتَ مُتَّئِدًا وَداوَوا ظَفرَة وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ
الحَربُ في حَقٍّ لَدَيكَ شَريعَةٌ وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ
جاءَت فَوَحَّدَتِ الزَكاةُ سَبيلَهُ حتّى التَقى الكُرَماءُ وَالبُخَلاءُ
أنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ

عرض شوقي من خلال فن الطباق صورا متباينة تغير بها وجه الأرض؛ فبين العاقل الذي استجاب لرسالة الرسول وبين الجاهل الذي أصم فلم يسمع النداء؛ متخذا من هذا تقسيما فمن العقول ما كان سهلا متفتحا ومنها الصخر المتحجر، ومن النفوس الحر والذي جبل على العبودية والذل، وشريعته صلى اللّه عليه وسلم جاءت سمحة متدرجة ولم تأت فرضا دون تيسير ومراعاة لأحوال الناس، حتى الزكاة جمعت بين البخيل والكريم، وأفاد منها الفقراء إذ حصلوا على نصيبهم من الأغنياء.

المقابلة

المقابلة: (لغة): مِن قابل الشيء بالشيء مقابلةً وقِبالًا؛ أي: عارضه، والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثلُه، قال تعالى عن حال أهل الجنة: (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)(الحجر: ٤٧).

واصطلاحا: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب.

والمقابلة أكثر ألفاظا من الطباق؛ لأن الطباق بين كلمتين أما المقابلة فهي عدد من الكلمات المتقابلة، فقد تكون:

- **مقابلة اثنين باثنين:**

نحو قوله تعالى: **(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** (التوبة:٨٢)، وقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)**، فالمقابلة بين يكون في شيء وهو ضد ينزع من شيء، وزانه وهو ضد شانه.

ومثله قول الشاعر:

وإذا حديث ساءني لم أكتئب وإذا حديث سرني لم أسر

فالمقابلة بين السوء وهو ضد السرور، واكتئب وهو ضد أُسر.

وقول الشاعر:

فوا عجبا كيف اتفقنا فناصح وفي ومطوي على الغل غادر

فالمقابلة بين الغل وهو ضد النصح، والغدر وهو ضد الوفاء.

- **مقابلة ثلاثة بثلاثة:**

نحو قول أبي دلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

والمقابلة بين: أحسن/ وأقبح، والدين/ الكفر، والدنيا(المال)/ الإفلاس.

وقول أبي الطيب المتنبي:

فلا الجود يفني المال والجد مقبل ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

والمقابلة بين: الجود/ البخل، يفني/ يبقي، مقبل/ مدبر

- **مقابلة أربعة بأربعة:**

نحو قوله تعالى: **(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)** (الليل:٥-١٠) واتقى/ زهد.

- **مقابلة خمسة بخمسة:**

نحو قول الشاعر:

بواطئٌ فوق خدّ الصبح مشتهر وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

الواطئ هو الماشي على الأرض، والطائر هو السائر في الفضاء، والمقابلة بين بواطئٌ/طائر، فوق/ تحت، خدّ/ ذيل، الصبح/ الليل، مشتهر/مكتتم.

وقول جرير:

وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماله

فقابل بين باسط وقابض، خير وشر، فيكم وعنكم، بيمينه وبشماله.

وقول صفي الدين الحِلي:

كان الرضا بدنوي من خواطرهم فصار سخطي لبعدي عن جوارهم

كان/ فصار، الرضا/ سخطي، بدنوي/ لبعد، من/ عن، خواطرهم/ جوارهم

وذكروا قول أبي الطيب المتنبي، وفيه نظر:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وهذا على أساس أن" لي" تُضاد "بي"، ولكن الخطيب لا يرتضي ذلك قال: وفيه نظر.

- **مقابلة ستة بستة:**

ينسب إلى عنترة بن شداد قوله:

على رأس حر تاج عز يزينه وفي رجل عبد قيد ذل يشينه

مقابلة الشطر الأول للشطر الثاني؛ لأن في الأول ست كلمات وفي الثاني ست كلمات مقابلة لها.

"والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضاد، ومنهم من جعلها نوعا مستقلا من أنواع البديع، وهذا هو الأصح، لأن المقابلة أعم من المطابقة.

وصحة المقابلات تتمثل في توخي المتكلم بين الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق. ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة."[1]

[1] علم البديع: عبد العزيز عتيق، ص ٨٦.

التورية

التورية (لغة): مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر.

وهذا المعنى اللغوي له علاقة وثيقة بالمعنى الاصطلاحي، لأن الخفاء صفة من صفات التورية، وتسمى التورية بالإيهام أيضا.

وهي في الاصطلاح: أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجازا؛ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية؛ فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب؛ فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد المعنى القريب وليس كذلك ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما.

وقال الزمخشري- وهو حجة في هذا العلم-: ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام اللّه وكلام نبيه وكلام صحابته رضي اللّه عنهم أجمعين فمن ذلك قوله تعالى:

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه:٥)

لأن الاستواء على معنيين؛ أحدهما: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود؛ لأن الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور.

وقال تعالى: **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)** (التوبة:٢٩) وموضع التورية في لفظة (اليد) والمعنى القريب العضو المعروف، ولكن المعنى البعيد المراد هو الذلة.

يقول الزمخشري: "قوله: (عن يد) إما أن يراد يد المعطى أو الآخذ فمعناه على إرادة يد المعطى حتى يعطوها عن يده، أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة إذ أن من

أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد، ولذلك قالوا: أعطى بيده، إذا انقاد وأصحب- أى: سهل بعد صعوبة- ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة، كما يقال: خلع ربقة الطاعة عن عنقه."[1]

وقوله تعالى: **(قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)** (يوسف:٩٥) فانظر إلى كون الضلال له وجهان، وهما الحب وضد الهدى وكيف أهمل أحد الاحتمالين، وهو الحب، واستعمل دلالته على ضد الهدى، فالمعنى القريب الضلال على ظاهره وهو ضد الهدى أي ضالا متوهما عودة يوسف بعد كل هذه السنين، والمعنى البعيد إيثار يوسف عليهم وحبه له، والمراد ما أهمل وهو الحب لا ما استعمل وهو لفظ الضلال.

ومنه قول النبي حين سئل في مجيئه عند خروجه إلى بدر؛ فقيل لهم: ممن أنتم، فلم يرد أن يعلم السائل؛ فقال: "**من ماء**"، أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء.

ومنه قول أبي بكر رضي اللّه عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي: من هذا؛ فقال: "**هاد يهديني السبيل**" أراد أبو بكر رضي اللّه عنه هاديا يهديني إلى الإسلام فورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر.

وكقول الإمام على رضي اللّه تعالى عنه في الأشعث بن قيس، (أنه كان يحرك الشمال باليمين)، فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية.

وقول أبي الطيب المتنبي:

بِرَغْمٍ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفَ كَفُّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

[1] الكشاف:٢/ ٢٦٢.

والعلات: الاختلاف، فإن شبيبا الخارجي الذي خرج على كافور الإخشيدي وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة، والسيف يقال له "يماني" في نسبته إلى اليمن، ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه، فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يماني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه.

والشاهد هنا: رَفيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي القريب عدم اجتماع كف شبيب وسيفه، والبعيد موته ابتعاده عن المعارك.

والتورية هنا دقيقة جميلة تخيرها الشاعر لتناسب غرضه وموقفه من كافور الإخشيدي الذي تحول بعد المدح إلى الهجاء.

ويقول البحتري:

ووراءَ تَسْدِيَةِ الوشَاح مَلِيَةٌ بالحُسْن تَمْلُحُ في القُلوبِ وتَعْذبُ

الشاهد في قوله: (تملح) فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب الموري به، ويحتمل أن يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد الموري عنه، وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين؛ قوله: ملية بالحسن.

وقول الشاعر:

حملناهم طراً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

طرا: جميعا، والدهم: له معنيان أحدهما قريب: وهو الخيل الدهم السود، وليس مراداً، وآخر بعيد، وهو قيد الحديد وهو المراد.

ومثل ذلك قول أبي العلاء المعري في وصف الناقة:

وحرفٍ كنونٍ تحت راءٍ ولم يكن بدالٍ يؤم الرَسم غيّره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم أنه يريد براء ودال حرفي الهجاء؛ لأنه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط، وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر

أولا إلى ذهن السامع، والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب؛ لأن مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها، وبراء اسم الفاعل من رأى إذا ضرب الرئة، وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو إذا رفق في السير، وبالرسم أثر الدار، وبالنقط المطر.

ومعنى هذا البيت: أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتيها ولم يرفق بها في السير؛ فهو غير دال وقد تقدم أن الدالي هو الرفيق، ويؤم بها دارا غير المطر رسمها، واجتماع هذه الأوصاف دليل على ضعف الناقة؛ لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رئتيها وإلى الرفق بها مع شدة شوقه إلى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير.

وقول عمر بن أبي ربيعة:

أَيُّها المُنكِحُ الثُرَيّا سُهَيلاً عَمرَكَ اللَهَ كَيفَ يَلتَقِيانِ

هِيَ شامِيَّةٌ إذا ما اِستَقَلَّت وَسُهيلٌ إذا اِستَقَلَّ يَمانِ

وقوله: (عمرك اللّه)، دعاء، أي: سألت اللّه أن يطيل عمرك، والشاعر هنا ذكر الثريا وسهيلاً ليوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين؛ لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيلاً من النجوم اليمانية، وهو يريد صاحبته الثريا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يسمى سهيلاً، فتمكن لعمر أن ورى بالنجمين عن الشخصين، ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد.

ومن ذلك قول أبي العلاء المعري:

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال

إذَا صَدَقَ الْجَدُّ اِفْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمُ لاَ تَخْفَى وَإنْ كَذَبَ الخَالُ

فقد جمَع بين الجدّ والعمّ والخال، والمراد بالأوّل: الحظّ وبالثاني: عامّة الناس بالثالث: الظنّ، والجد هنا مشترك بين أبي الأب والسعد ومراده السعد، والعم

مشترك بين أخي الأب والجماعة من الناس ومراده الجماعة، والخال مشترك بين أخي الأم والظن ومراده الظن.

وكقول سراج الدين الوراق:

أصونُ أديم وجهي عن أناسٍ لقاء الموتِ عندهُم الأديبُ

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم حبيب

وأراد هنا معنى قريب وهو المحب، ومعنى بعيد وهو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف بأبي تمام.

يقول ابن حجة الحموي في خزانة الأدب عن التورية: "لأن هذا النوع أعني التورية ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب، ولعمري إنهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب التورية، فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها أبواب عطف ومحبة، وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول."

وفن التورية فن من الفنون التي تتميز بالخفاء على غير مغالاة فيه؛ فجمالها في كد الذهن وجذب الانتباه وتفاعل المتلقي، وبخاصة إذا عرف المعنى القريب ثم وجد لهذا المعنى معنى آخر أشد تناسبا مع قول المتكلم، ثم إن التورية إذا طمست وصعب الوصول إليها صارت ضربا من الألغاز، ومواضعها لا يصح فيها الخفاء التام إلا في لحظات اللقاء بعدو أو تجنب الكذب ومع كل ذلك يظل اللفظ يحمل معنيين؛ ولكن السامع ينصرف عن المعنى البعيد؛ ليفهم المقصود بالمعنى القريب، ومراد المتكلم صرفه عن البعيد إلى القريب، إما استعراضا للمقدرة اللغوية أو لشيء آخر حسب المقام؛ فالمقام هو الذي يجعل المتكلم يختار هذا الأسلوب أو ذاك "ولا يحسن بلاغيا استخدام التورية إلا إذا دعا داع بلاغي يقتضيه حال المتلقي، وهذا الداعي مما يقصد لدى أذكياء البلغاء، كإخفاء

المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرف خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقي والتأثير في نفسه بما يعجبه من أداء فني يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك من دواعي"[1]، وللتورية جمالها في إيقاظ السامع وتنبيهه، وجذبه جذبا إلى ما يقول المتكلم ليكد ذهنه في رسالته وهي بذلك تثير ذهن القارئ، وتشير إلى مقدرة الأديب وبراعته، وآفة هذه الفنون-البديعية كلها ومنها التورية- التكلف والكثرة؛ لأنها إذا كثرت جاءت بخلاف مايراد بها من الإمتاع والجمال.

[1] البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني: ٢/ ٣٧٤.

التوجيه

التوجيه: "هو أن يكون الكلام محتملا لوجهين مختلفين كالمدح والذم، ومنهم من جعل منه احتمال الكلام لوجهين مُطلقًا سواء كان مدحًا أو غيره، أو وجهين من غيره مختلفين، وإن كان المراد أحدهما"[١].وهذه الدرجة من المساواة بين الأضداد لا يستطيع السامع الجزم بمعرفة مقصد المتكلم؛ لذا فمن تعريفاته: "هو أن يكون الكلام محتملًا للمدح والذم احتمالًا متساويًا"[٢].

ذكر السيوطي في شرح عقود الجمان عن أن أول من اخترع هذا الفن هو ابن أبي الإصبع المصري وذكره في باب التورية لما بين الفنين من الخفاء، وسمي بالإبهام.

وهو فن من فنون البديع التي تحمل الخفاء، والتلاعب والمقدرة اللغوية على تشتيت السامع بين نقيضين مدحا وهجاء، وتأتي عندما يكون الشاعرأو الأديب يريد أن يقول كلاما ذا وجهين تفننا أو هروبا من إثبات الخطأ عليه مع إرادراته التعبير عما في نفسه، ولذا عده ابن أبي الإصبع من المواربة: "هي مشتقة من الوَرَب بفتحتين، وهو العرق إذا فسد، كأن المتكلم أفسد مفهوم كلامه بما أبداه من التأويل، وذلك أن يقول المتكلم قولًا يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهًا من الوجوه يتخلص به، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص"[٣]

وعليه قوله تعالى: **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ**

---

[١] الحلة السيرا في مدح خير الورى، ابن جابر الأندلسي: ص ٢٩٠.

[٢] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي: ص ١٧٦.

[٣] تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري: ص ٢٦٨.

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: ٤٦) ؛ قال الزمخشري: (غير مسمع) حال من المخاطب؛ أي: اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين:

يحتمل الذم؛ أي: اسمع منا مدعوا عليك بـ: لا سمعت؛ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم: "لا سمعت" دعوة مستجابة، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا، أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه؛ فسمعك عنه ناب، ويجوز على هذا أن يكون "غير مسمع" مفعول "اسمع"؛ أي: اسمع كلاما غير مسمع إياك؛ لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه.

ويحتمل المدح؛ أي: اسمع غير مسمع مكروها، من قولك: "أسمع فلان فلانا" إذا سبه.

وكذلك قوله: (وراعنا) يحتمل "راعنا نكلمك" أي: ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل سبة؛ وهي كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي "راعينا"، فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يكلمونه بكلام محتمل؛ ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والاحترام.

ثم قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا: "سمعنا وعصينا"؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز ألا ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به."[1]

ولذلك فالتوجيه أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء، ومديح، ودعاء للمخاطب، أم دعاء عليه، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه، كقول بشَّار في خياط أعور (اسمه عمرو) صنع له قَباءً؛ فقال له الخياط على طريق العبث به: سآتيك به لا يدري أقباء هو أم دواج (مِعطف غليظ) ؛ فقال

[1] الكشاف: ١/ ٥١٨.

الشاعر: لئن فعلت لأقولن فيك بيتاً لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك فيه أم دعوت عليك؟ ففعل الخياط، فقال الشاعر:

خاط لي عمروٌ قَباءً ليت عينيه سواءً

والقَبَاءُ : ثوبٌ يُلبَسُ فوق الثياب أو القميص يشبه العباءة، فإنّ دعاءه لا يُعلم، هل له أم عليه، فما علم أحد هل أراد أن الصحيحة تساوي السقيمة أو العكس.

ومن هذا الفن قول أحدهم: كلما لاح وجهه بمكان كثرت زحمة العُيون إلى رُؤيته، وهذه الدهشة والعجب مدحا أو قدحا؛ هل هي لجماله أم لقبحه.

ويحكى أن محمداً بن حَزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته بورَان بالخليفة المأمون العباسي مع من هنأه، فأثابهم، وحرمه: فكتب إليه إن أنت تماديت على حرماني، قلت فيك بيتاً لا يعرف أهو مدح أم ذم، فاستحضره وسأله؟ فأقرَّ، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بارك اللّه للحسن ولبوُران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من؟

والختن: أقارب الزوج، فلم يدر: ببنت من؟ ؟ - أفي العظمة وعلو الشأن ورفعة المنزلة أم في الدناءة والخسة؟ ؟ - فاستحسن الحسن منه ذلك وأثابه.

يقول أبو الطيب المتنبي:

مَدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشْنَا نَظَمْتُ بهم قصائِداً من إنَاثِ الخَيْلِ والحُصُنِ

الحُصُن :جمع حصان، وهو الذكر الفحل من الخيل، يقول :مدحت قومًا لا يستحقون المدح — لشحهم وجهلهم— ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور، جعل الخيل قصائد بدل القصائد التي مدحهم بها.

أي: مدحت قوما لا يستحقون المديح بقصائد من نظم، وإن عشت نظمت لهم قصائد من خيل، محاربا لهم ومغيرا عليهم، إما لأنهم لم يتجاوزه على قدر مدحه، وإما لأنهم لا يستحقون ما هم فيه، وأنه أولى به منهم.

فيحتمل الكلام المدح بقصائد عظيمة تعظيما لهم أو بقصائد من الهجاء حربا عليهم.

وقول الشاعر:

يذكّرنيك الخير والشّرّ كلّه وفيك الحيا والعلم والحلم والجهل

فهذا البيت دال على التوجيه بمعنى أنه يحتمل أن يريد مدحه وأن يريد ذمه؛ لأنه صرح بأن فيه الخير والشر، وفيه الحلم والجهل، فيحتمل أن يكون المراد مدحه، ويحتمل أن يريد ذمه، فإذا كان الكلام على الجمع بين خصال الخير والشر لم يعرف المتلقي مقصد المتكلم قدحا أو مدحا.

ولا يفك طلاسم التوجيه إلا أن يكشفها الشاعر بنفسه؛ فيقول في البيت الذي يليه:

فألفاك عن مكروهها متنزّها وألقاك فى محبوبها ولك الفضل

يقول بعد ذلك فى هذا البيت إنه برىء عن مكروهها، ومنزه عنه، وأنه فى محبوبها له الزيادة على غيره فى الصفات المحمودة، أزال ما يحتمله الأول من الذم، وأزال توجيهه الذى يحتمله،و"جليٌّ أن هذا الفن البديعي يشد المتلقي؛ لأنه لا يقدم من محددات الدلالة ما يطمئن الذهن إلى معنى بعينه، بل يدعه يلوب في حيرة البحث عن الدلالة الحقيقية، وينطوي أيضًا على التعجب المتأتِّي من إحساس المتلقي بأن المنشئ قادرٌ على عرض كلامٍ يشركه هو في معرفة مفرداته، لكنه يجهل المُراد من مركبه، وفي جبلة الإنسان حُبٌّ للألغاز والمبهمات"[1]

[1] المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب: ص ٦٠٧.

تجاهل العارف

تجاهل العارف وهي تسمية ابن المعتز، وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة؛ وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم أن شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة في المعنى؛ نحو قولك: أوجهك هذا أم بدر فإن المتكلم يعلم أن الوجه غير البدر إلا أنه لما أراد المبالغة في وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه أم بدر ففهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر.

وكالتوبيخ في قول المرأة الخارجية:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

في الرثاء ينكر على شجر الخابور عدم الجزع على ابن طريف، لما رآه مورقا يانعا بدلا من أن يصيبه الإصفرار والضعف، وهو يعرف أن ذلك لن يحدث ولكن تساءل توبيخا له وربما تعريض لبعض البشر الذين نسوا فضل الرجل، ولم يبدوا مظاهر الحزن عليه وقد عم جوده عليهم.

والمبالغة في المدح في قول البحتري:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

وقول الشاعر:

أثغرك يا هند أبدى ابتساما أم البرق سل عليه حساما

والبيتان السابقان الشاعر يعرف الأمر تماما ولكن يتجاهل كل هذا ليضفي على المشهد جمالا وروعة، كأن الأمر قد اختلط عليه فلم يدرك الفرق بين جمالها وجمال الطبيعة الساحرة مبالغة في وصف محاسنها.

ونحوه قول الشاعر:

أَغَـرَّةُ إسـمـاعـيلَ أَم سُنَّةُ البَدر وَفَيضُ نَدى كَفَّيهِ أَم باكِرُ القَطر

أو في الذم كقول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

والتدله في الحب؛ في قول الحسين بن عبد اللّه:

باللّه يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وقول الشاعر شهاب الدين التّلّعْفَري (675 – 593) هـ / شاعر عراقي، نسبته إلى تل أعفر و مولده بالموصل:

أقولُ له علامَ تَميلُ عُجباً على ضَعفي وقدُّكَ مستقيمُ

فقالَ تقولُ عنِّي مَيلٌ فقلتُ كذا لنا نَقَلَ النَّسيمُ

والتحقير منه ما جاء من أقوال المعاندين ومنهم أهل مكة في حق النبي صلى اللّه عليه وسلم: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)** (سبأ:٧) كأن لم يكونوا يعرفون عنه إلا أنه رجل ما؛ فقد جهلوهم مع كونهم عارفين بالنبى صلّى اللّه عليه وسلّم لغرض فاسد لهم لعنهم اللّه.

ومن قبلهم قوم نوح قالوا: (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) (المؤمنون:٢٥)، وقول الأقوام من بعد نوح: (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) (المؤمنون:٣٨)، وتتطابق أقوال المعاندين في الإنكار مع المعرفة والعلم وظهور الدلائل والبراهين.

ومنه التعجب: نحو قوله تعالى: **(أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)**(الطور:١٥) هذه الآية في سياق التعجب من أهل النار وقد عرضوا عليها، فتقول الملائكة أو يقول بعضهم لبعض"كنتم تقولون عن معجزات الأنبياء: إنها سحر (أفسحر هذا) أيضاً كما كنتم تدعون؟ (أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ) النار، وتحسون بلهبها؛ الذي يجعلها حقيقة واقعة"[١]، فقد يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلاً به.

ومنه الفخر – كقول الشاعر:

[١] أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف بن الخطيب:ص٦٤٥.

أيُّنا تعرف المواقف منه وثبات على العدا وثباتا

وهو أسلوب من الأساليب المستخدمة من قبل المتكلم ليعبر بها عن أمر كان من الواجب أن يكون له أهمية ولم يجد من الناس اهتماما به؛ فيجذبهم إليه دون تصريح منه، أو كان مبالغة في مدح، أو ذم، ومرونة هذا الأسلوب مع خفائه يدعو المستمع إلى تبين حال المتكلم والسعي وراء مقاصده من خطابه وتعبيره؛ يقول البوصيري في مقدمة البردة:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجتَ دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرقُ في الظلماء من إضَم

جعل الشاعر من نفسه شخصا اخر فقال له :ما بال دمعك قد أصبح غزيرا حتى مال إلى حمرة الدم؟ ألأجل تذكّرك الأحباب القاطنين بذي سلم؟، أم إن هذا البكاء قد هيجه هبوب الرياح من جهة مساكنهم في موضع كاظمة، ولمع البرق من جهتهم في إضم، فتحركت لأجل ذلك أشجانك وأحزانك!

وهو يريد تأكيد بكائه المختلط بالدم، بطرح تشكيكه في الأسباب الداعية إلى ذلك، أهي التذكر، أم الريح التي هبت من أرض محبوبه، أم البرق الذي أومض من جهتها، وهو عارف بأن السبب هو التذكر؛ ولذلك كان تجاهل العارف هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم.

ويرى ابن جنى أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام أشياء، ومنها:

أن يرى المسئول إنه خفى عليه ليسمع جوابه عنه، وأن يتعرف حال المسئول، هل هو عارف بما السائل عارف به، وأن يرى الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد، لما له في ذلك من الغرض، وأن يعد

ذلك لما بعده مما يتوقعه، حتى إن حلف بعد أنه قد سأله عنه حلف صادقاً، فأوضح بذلك عذراً.[1]

[1] الخصائص، لابن جني: ٢/ ٢٦٤، وانظر/خصائص النظم في(خصائص العربية)، د.حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، ص١٣٦.

الإرصاد

والإرصاد (لغة): الإعداد والترقب والتهيئة، يقال لغة: أرصد الشيء للشيء إذا أعده له، ومنه: أرصدت الجيش للقتال، والفرس للطراد، والإرصاد: نصب الرقيب فى الطريق.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة:١٠٧)

واصطلاحا: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي.

وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له؛ أي: أعدها في نفسه، فإذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي به في قافيته، وذلك من محمود الصنعة، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض، ويسمى هذا الفن بالإرصاد أو التسهيم، ويقصد به ما يكون في الثوب من خطوط وألوان يتوقع منها الرائي تواصل الألوان والخطوط؛ فيقال: برد مسهم: فيه خطوط مستوية، وقيل: هو مأخوذ من وضع صورة السهم، للإشارة به إلى المكان المقصود، أو المعنى المقصود، ومعلوم أن إعداد ما يلزم في أول الكلام لمعرفة ما سيأتي في آخره هو بمثابة وضع صورة السهم التي يشار بها إلى المقصود.

وورد منه في القرآن الكريم مواضع يمكن لقرئه أن يكمل ختام الآية من خلال معرفة بدايتها؛ ففي قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** (يونس:١٩) فإذا وقف السامع على قوله تعالى (لقضي بينهم فيما فيه) عرف أن بعده (يختلفون) لما تقدم من الدلالة عليه.

قال اللّه تعالى: **(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (الأعراف:٣٤)**؛ أى: أن لكل أمة موعد لأجلها، فإذا جاء لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عليه.

والشاهد في هذه الآية في قوله: (يستأخرون) ومن خلالها نتوقع تلقائيا ورود مقابلها وهو (يستقدمون).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: **(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)**(العنكبوت:٤٠)

على نحو منه جاء قوله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** (العنكبوت:٤١) فإذا وقع السامع على قوله تعالى: (وإن أوهن البيوت) يعلم أن بعده بيت العنكبوت، كما أن هناك أمرا آخر بين الآيتين السابقتين فقد ختمت الآية (٤٠) من العنكبوت، بـ(يظلمون)، وربما يتوقع السامع ختام الآية (٤١) بقوله: (يعلمون).

وقال اللّه تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ۞ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (ق:٣٩-٣٨)** في هذه الآية يخاطب اللّه عز وجل النبي (صلى اللّه عليه وسلم) قائلا له سبح بحمد ربك؛ أى: صل شاكرا، وذكر موعدا (قبل طلوع الشمس)؛ أى: صلاة الصبح (وقبل الغروب)؛ أى: صلاة الظهر والعصر، ومعرفة روي الآية السابقة يساعد المتلقي في توقع نهاية الآية هنا، فحرف الروي الباء، وختمت به هذه الآية والسابقة.

فالشاهد في هذه الآية لفظ الطلوع يستدعى مضاده الغروب وان لم يكن اللفظان من مادة واحدة .

ورد في قوله تعالى:(**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**) (سبأ:١٧)

فمقدمة الآية تعين المتلقي على توقع الكلمة الأخيرة منها،فإذا سمع (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي) أكمل مشاركا (إِلَّا الْكَفُورَ) وميزة هذا الفن كشف اللثام عن ذكاء المتلقي وتوقعه وتفاعله مع النص، من خلال معطيات ومقدمات وبذلك تشير أيضا إلى ذهن حاضر يفهم القضية ويستطيع توقع نهايتها، وتميز الرسالة أو النص بالجمال لأن الكلام يأخذ بعضه برقاب بعض في انسيابية وسهولة ويسر، يفهمه السامع ولا يجد صعوبة في المشاركة في توقعه، وهذا التوقع ميزة في هذا الموضع خاصة دون غيره من المواضع لوجود سبل الدعم والتكوين والعلاقة بين صدر الكلام وعجزه.

وفي الشعر قول زهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعيش ثمانينَ حولا لا أبا لك يسأمِ

(سئمت) في أول البيت وسياق البيت يساعد المتلقي على معرفة القافية وتوقعها (يسأم).

وقول الآخر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فكلمة "تستطيع" يأتي بها المتلقي قبل أن ينطق بها المتكلم؛ لأن صدر الكلام يمهد لها.

وقول البحتري:

أبكيكما دمعا ولوأني على قدر الجوى أبكي بكيتكما دما

والتوقع يأتي من ذكر بكاء الدمع في صدر البيت، فإذا وصل إلى (بكيتكما) قال السامع "دما".

وقوله أيضا:

أحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْر جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلاَ سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلاَمِي

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ لَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامٍ

فعند سماع "حللته" تتوقع ختام البيت "بمحلل"، وعند الوصول إلى "حرمته" تتوقع خاتمتها "بحرام"؛ ولذلك فلا يصعب على السامع وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثاني أن عجزه هو ما ذكره الشاعر.

ويمكننا أن نفهم علاقة هذا الأسلوب بطبيعة العرب اليقظة في فهم الكلام وعلاقاته بعضه ببعض؛ فقد ورد أن أعرابيا سمع قول اللّه تعالى: (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة:٢٠٩)، فأخطأ القارئ في ختام الآية؛ فقال: (فاعلموا أن اللّه غفور رحيم) فأنكر عليه الأعرابي ذلك، ولم يكن هذا الأعراب مسلما بل كان متيقظا للعلاقات بين صدر الآية وعجزها، ورأى أن الزلل لا يستوجب الغفران والرحمة بل يستوجب العزة والحكمة؛ لأن العزيز هو الغالب، والحكيم الذي يضع الشيء في محله إن شاء عذب وإن شاء عفا.

مراعاة النظير

مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة.

أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا على جهة التضاد؛ كقوله تعالى: **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)** (الرحمن:٥-٦) فناسب بين الشمس والقمر وهما كواكب وبين النجم والشجر وهما نبات؛ لأن المراد بالنجم هنا النبات الذي لا ساق له، والشاعر يقول:

أراعي النجم في سيري إليكم ويرعاه من البيدا جوادي

والنجم الأول الكوكب والهاء تعود على المعنى الثاني للنجم وهو النبات على طريقة فن الاستخدام وهو من فنون البديع.

وفي الآية الكريمة كانت المناسبة اللفظية بين الشمس والقمر والنجم والمناسبة معنوية بين النجم والشجر وهذا من مظاهر الترابط بين الآيتين وقد عد الآية البلاغيون من إيهام التناسب.

وهذا الفن كثير في القرآن الكريم والفنون الأدبية؛ ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)** (طه:١١٨-١١٩) فناسب بين الجوع وهو خلو البطن (الباطن) من الطعام، مع العري وهو خلو الجسم (الظاهر) من الكساء، كما ناسب الجمع بين الظمأ وهو ارتفاع الحرارة الداخلية (وحاجته إلى الماء) مع الضحى وفيه ارتفاع الحرارة الخارجية وحاجته إلى (الظل).

ومن مراعاة النظير؛ قوله تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)** (البقرة:١٦)، فلما ذكر الشراء ذكر ما يناسبها من التجارة والربح.

وقول أسيد بن عنقاء الفزاري:

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه البدر

والثريا: مجموعة من الكواكب، والشعرى: كوكب؛قال تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) (النجم:٤٩)، والتناسب هنا في جمع (الثريا) و(الشعرى) و(القمر) وهي كواكب، كما جمع بين (الجبين) و(الخد) و(الوجه).

وقول الآخر في فرس:

من جلنار ناضر خده وأذنه من ورق الآس

والجلنار: زهر الرمان، الآس: شجر دائم الخضرة، بيضيّ الورق، أبيض الزَّهر أو ورديُّه، يُزرع للتزيين ولرائحته العطريّة، وثماره لُبِّيَّة سوداء تؤكل غضَّة وتجفّف فتكون من التَّوابل، فناسب بين أمرين متناسبين الجلنّار والآس وهما نبتَتان، والخدّ والأذن وهما عُضوان.

وقول البحتري في صفة الإبل بالنحول والضعف:

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

شبه الإبل بالقسي وأراد أن يكرر التشبيه، فقصد إلى المناسبة بين الأسهم والأوتار لما تقدم ذكر القسي، وفي انتقاله بين القوس والسهم والوتر لأن بينها مناسبة؛ فالقوس أغلظ من السهم المبرى، والسهم المذكور أغلظ من الوتر، والوتر أرقها جميعا.

وقول أحد الشعراء في آل النبي صلى اللّه عليه وسلم:

أنتم بنو طه ونون والضحى وبنو تبارك في الكتاب المحكم

وبنو الأباطح والمشاعر والصفا والركن والبيت العتيق وزمزم؛ فجاء بالمناسبة بين أسماء السور في البيت الأول وفي الثاني بحسن المناسبة بين المقدسات وأماكن العبادة في الحرم المكي.

وقول ابن رشيق:

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

فناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم وهذا للمبالغة في كرم الأمير.

وقول بعضهم للمهلبي الوزير: **"أنت أيها الوزير إسماعيلي الوعد شعيبي التوفيق يوسفي العفو محمدي الخلق"**؛ فناسب بين ذكر الأنبياء وبين ذكر الصفات الحميدة.

ومن قول أبي تمام:

إقدامُ عَمْرٍو في سَماحةِ حَاتِمٍ في حِلمِ أحنَفَ في ذَكاءِ إيَاسِ

فناسب بين مشاهير العرب وبين صفاتهم التي اشتهروا بها.

وكان قد امتدح أبو تمام أحمدَ بن الخليفة المعتصم في قصيدة مطلعها:

ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذِمامَ الأربُع الأدْراس

فقال أحد الجالسين تشبه الأمير بأجلاف العرب، فأطرق مليا ثم قال:

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فاللّه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المِشكاة والنبراس

ولقيمة هذا الفن أدرجه الفخر الرازي في باب النظم الذي يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع حسب نظرية الجرجاني.

تشابه الأطراف

يعد هذ الفن تكملة لمراعاة النظير، والتناسب بين أجزاء الكلام في صدره وعجزه؛ وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى.

وكل فواصل القرآن جاءت على هذه الدقة من التناسب وتشابه الأطراف؛ فالعلاقة بين مضمون الآية وختامها في الفاصلة واضح وإنما سميت الفاصلة فاصلة لبيانها ووضوحها.

ومن أمثلته:

قوله تعالى: **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)** (الأنعام:١٠٣) لا تدركه الأبصار فهو لطيف، أى: باعتبار المتبادر منه وهو الدقة لأخذه من لطف إذا دق ورق، ومعلوم أن الشىء كلما لطف ودق كان أخفى فلا يدرك بالبصر، ألا ترى للهواء فإنه لما لطف جدّا امتنع إدراكه بالبصر عادة وإن كان ذلك المعنى محالا فى حقه تعالى، إذ اللطيف فى حقه بمعنى الرفيق بعباده الرؤوف بهم.

وهو يدرك الأبصار فهو خبير بها وبأحوالها مطلع على سرها وعلانيتها، ومناسبة الخبير لإدراكه الأبصار فظاهرة؛ لأن الخبير من له علم بالخفيات، والظواهر منها الأبصار فهو يدركها.

وقوله تعالى: **(لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** (الحج:٦٤)

ذكر في بداية الآية أن كل ما في السماء والأرض لله تعالى لاشريك له في ملكه، وجاء ختام الآية باسمين من أسمائه الحسنى هما الغنى والحمد (الغني الحميد) ووهذان اللفظان يناسبان مضمون الآية ومعناها، فإنه لما كان له الملك كله احتاج العباد إليه فهو غني عنهم

وهم محتاجون إليه، فلما أعطاهم حمدوه على نعمه أو حُق لهم أن يحمدوه؛ فهو محمود من قبلهم وحميد.

ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى: **(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (المائدة:١١٨)، فإن قوله (وإن تغفر لهم) يوهم أن الفاضلة الغفور الرحيم، ومجيئ الفاصلة على خلاف مايوهم فعل الشرط؛ لأن مغفرته لقدرة وحكمة وتقدير للأمر، والمناسبة تقتضي من الأسماء الحسنى (العزيز الحكيم)؛ لأن العزيز الغالب، والحكيم الذي يضع الشيء في محله، والمغفرة والرحمة تابعان للعزة والحكمة ولا يصح العكس.

ومن فنون تشابه الأطراف فن أورده ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير وقال: سماه الأجدابي التسبيغ، وفسره بأن قال: هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، ومنه قول الشاعر:

خليلي إن لم تعذراني في الهوى ولم تحملا عني اذهبا ودعاني

دعاني إليه الحب فالحب آنفا دعاني قلبي إذ دعاه جناني

جناني في سكر فلا رعى عنده بكأس بها ساقي الغرام سقاني

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)** (النور:٣٥)

وتشابه الأطراف حاصل في هذه المقاطع (كمشكاة فيهامصباح/ المصباح في زجاجة/ الزجاجة كأنها كوكب).

وكقوله تعالى في سورة القدر: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)**(القدر:٢-٣) فختم الآية بليلة القدر ثم بدأ بها، وكررها ظاهرة ثلاث مرات، ومرة ضميرا متصلا ومرة أخرى ضميرا

منفصلا؛ لعظمتها وعلو قدرها على ما سواها من الليالي ففيها نزل خير كتاب وأحسن بيان.

ومنه قول قيس لبنى (قيس بن ذريح):

إلى اللّه أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا إلى اللّه فقدَ الوالدَيْنِ يتيمُ

يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قديمُ

فتشابهت أطراف البيتين في ختام الأول ومبتأ الثاني، ولعل الشاعر أراد عن يبرز صفة اليتم الذي حل به جراء فقد لبنى ورمى إلى إشراك السامع لبلائه.

وأنشد فيه قول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج:

إذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الّذِي بها غُلاَمٌ إذَا هَزَّ الْقَنَاة سَقَاهَا

سَقَاهَا فَرَوَّاهَا بِشِرْبٍ سِجَالُهُ دِمَاءُ رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا

أي :إذا نزل بأرض فيها خارجون يُفْسدون تتبَّعَهُم حتَّى قَتَل الهاربين والمتخفين ورؤُوسَ الفتنة منهم، وأجهز عليهم.

وقوله: سِجَالُه :السِّجال يقال للدَّلْوُ العظيمة، والضَّرْعُ العظيمة، ومرادُها هنا الضروع، تَشبيها لأوعية دماء الخارجين المفسدين بالضروع الممتلئة والصَّرَى ما طال مُكْثُه ففسد، وهي تريد أنّ جنود الحجّاج يستخرجون برماحهم وسيوفهم الدّماء الفاسدة من هؤلاء الأشرار.

وهذه الفنون وبخاصة التسبيغ أو التعانق أو تشابه الأطراف يصح أن تكون في الفنون اللفظية لجرسها الصوتي بتكرار اللفظ، وما وضعت هنا إلا لكونها فن من فنون تشابه الأطراف الذي يعتمد على إبراز المعنى.

ومن فنون تشابه الأطراف ما يعتمد على ركيزة الجملة واطلق عليه بعض البلاغيين اقتباس الركائز ؛ وهي كقوله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العلقة مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المضغة عِظَاماً فَكَسَوْنَا العظام لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّه أَحْسَنُ الخالقين)** (المؤمنون ١٢ – ١٤)، وألفاظ (نطفة- علقة- مضغة- عظام) هذه الكلمات ركائز الجمل تكررت في الجمل التالية، وهذا التكرار يناسب مقام التحدي والتعجيز؛ فكل آية من هذه الآيات معجزة في حد ذاتها.

و"(خَلَقْنَا) هنا للإشارة إلى أن ذلك التصيير أو التحويل إنما هو بخلق اللَّه تعالى لَا بالسببية التي تحول الجنين من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة، فإن اللَّه تعالى هو الخلاق العليم الذي ينشئ الشيء، فلا ينشأ شيء بغير إرادته، إنما إرادة اللَّه تعالى وقدرته هي الفاعلة"[١].

وتكرر فعل الخلق مرات وفعل الجعل مرة، لأن الخلق إخراج من عدم، وكل مرحلة من هذه المراحل تعد خلقا جديدا تختلف عن سابقتها، وفي كل مرة إيجاد من عدم، أما ذكر الجعل فجاء في سياق الحديث عن الصيرورة ووصول النطفة لبدء رحلة الخلق، فهو خلق الإنسان أولا وهو آدم ثم جعل نسله من ماء مهين.

وهذا العرض جاء في موضع آخر بأسلوب غير هذا الأسلوب؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

[١] زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ١٠/ ٥٠٥٣.

أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)(الحج:٥)، فذكر شيئا خفيا وشيئا ظاهرا للاستدلال بتحقق الظاهر دليلا وبرهانا على صدق الخفي، والجميع لسهولة البعث؛ لأن الإعادة أيسر من البدء.

المشاكلة

المشاكلة في اللغة: المماثلة.

واصطلاحا: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا أو تحقيقا.

ومن التقدير قوله تعالى: **(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)** (البقرة:١٣٨)

والمعنى: تطهير اللّه لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: (قولوا أمنا باللّه) وصبغنا اللّه بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون صبغنا اللّه بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم، وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ؛لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك.

والمشاكلة تحقيقا:

كقول أحدهم وقد دعي إلى مأدبة طعام، ويريدون منه اقتراح ما يشتهي؛ فقال هذا البيت:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

كأنه يقول الأولى أن تسألوا عما هو أنفع لي وهو الفقر الظاهر لا الفقر الباطن، فأتي بلفظ (اطبخوا) بدلا من خيطوا لي ليشاكل مقالتهم ويصرفهم إلى ما ينفعه، وهذا في كلامنا كثير.

ومنه في القرآن أمثلة كثيرة؛ نحو:

(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (آل عمران:٥٤)

(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) (يونس:٢١)

(وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (النمل:٥٠)

أي جازاهم اللّه على مكرهم بمكر أشد منه وأقسى، وقسوة الجزاء تكون إذا كانت العقوبة مساوية للذنب ومن جنسه، "ويسميها البعض مشاكلة تقديرية، ومعنى: واللّه خير الماكرين؛ أي: أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم.

وقال تعالى: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)** (النساء:١٤٢)، فما أقسى أن تقابل من خدعك بخداعه وادعاء جهلك بفعله، وأنت محيط به مطلع على كل ما يصنع، موهما إياه بعدم العلم والمعرفة بأحواله، وكلما تمادى في خداعك تماديت في إظهار جهلك بما يصنع، لعل وقع هذا أشد إيلاما من كشفه وهذا في علاقات الناس، كيف باللّه وقد مد لهم ليملي لهم وهو مطلع على تدبيرهم وما يخفون وما يعلنون.

عليه قوله تعالى: **(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)**(المائدة:١١٦)، قال صاحب الكشاف: "والمعنى: تعلم معلومى ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه، فقيل فِي نَفْسِكَ لقوله في نفسي إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ تقرير للجملتين معاً؛ لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد"[1].

[1] الكشاف:١/٦٩٤.

أي: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك من تقدير، وإن كانت اللفظة مشاكلة فالمعنى مختلف؛ لأن اللّه تعالى ليس كمثله شيء، وإن اتفقت بعض صفات البشر مع صفاته ولكن ليس أكثر من اتفاق ثمار الدنيا في الأسماء مع ثمار الجنة، فالشبه محال بعيد لا مقارنة فيه.

وقوله تعالى: **(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** (البقرة:١٩٤)

فذكر الدفاع عن النفس والعقوبة بالاعتداء مشاكلة في سياق الاعتداء، والسياق قيد الاعتداء من كل الوجوه حتى لا يفهم السامع اعتداء باعتداء فيجور، فقدم بذكر القصاص وثني بذكر كلمة مثل للعدالة وأمر بالتقوى وجزاء المتقين.

ومنه قوله: **(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** (الشورى:٤٠) وجزاء سيئة عقوبة، ولكن لما كان جزاء الشيء بمثله أشد إيلاما ذكره بلفظه، وفي الآية إنصاف وعزة ورحمة.

وقال تعالى عن امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام: **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)** (يوسف:٢٤)

فذكر الهم من يوسف عليه السلام في سياق الهم منها مشاكلة، فهي التي دبرت وخططت وغلقت الأبواب وقالت تهيأت لك؛ وقيل: "همت بإمساكه وضمه المراد بهمه عليه السلام: ميل الطبع البشري، ومنازعة الشهوة الفطرية؛ لا القصد الاختياري، وهذا الهم مما يصح أن يكتب له به حسنة، لا أن تحسب عليه سيئة. وقد جاء في الحديث القدسي عن رب

العزة: (إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة)"[1] ، وفي الهم كلام كثير لكن ما يتفق عليه الجميع أن هم يوسف عليه السلام ليس كهمها هي؛ لذا حسن عد همه من قبيل المشاكلة.

ومنه قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل

كأنه يقول أن اختيار الجار أولى من اختيار المنزل، ومشقة بناء المنزل تحتاج لا تساوي شيئا أمام مشقة الحصول على جارٍ حسنٍ.

وشهد رجل عند شريح؛ فقال: (إنك لسبط الشهادة)؛ فقال الرجل: (إنها لم تجعد عني).

وسبط الشهادة سهل يسير في عرضها، وتجعد عني؛ أي لم تصعب علي، ولما أتي القاضي بلفظ سبط المتعمل في وصف الشعر، جاء الشاهد بلفظ التجعيد مشاكلة له.

والذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها.

ومنه ما روى عَنْ عَائِشَةَ رضي اللّه عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَال: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ، تُصَلِّي. قَالَ: **(عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا)** وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ "[2].

فالملل هنا جاء بلفظه من قبيل المشاكلة وفهم المعنى القريب يفي بالمقصود، وقال العلماء: "الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق باللّه، من غير مشابهة

---

[1] أوضح التفاسير:ص ٢٨٣.

[2] رواه البخاري ومسلم.

لخلقه ولا تكييف، كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب اللّه عز وجل، وكلها صفات حق تليق باللّه سبحانه وتعالى على حد قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

ومن العلماء من يقول: إن قوله: (لا يمل حتى تملوا) يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل فإن اللّه يجازيك عليه، فاعمل ما بدا لك فإن اللّه لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا فيكون المراد بالملل لازم الملل، ومنهم من قال: إن هذا الحديث لا يدل على صفة الملل للّه إطلاقا؛ لأن قول القائل: لا أقوم حتى تقوم، لا يستلزم قيام الثاني وهذا أيضا (لا يمل حتى تملوا) لا يستلزم ثبوت الملل للّه عز وجل.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن اللّه تعالى منزه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أن هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق"[1]

ومنه قول أحدهم في قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

وعلى ما فيها من السخرية تفيض بلاغة وحسنا وتعبيرا عن مظهر من مظاهر السوء.

[1] مجموع فتاوى ابن عثيمين: ١٧٤/١.

حسن التعليل

وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي؛ أي: أن ينكر الأديب صراحة، أو ضمناً، علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف، ومشتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمى إليه،.

فانتظار التعليل الحقيقي غير مقصود هنا، وقد يكون فيه جفاء كأن يكون تحليلا علميا يحتاج إلى العلوم الطبيعية لبيان معناه، ولكن الشاعر هنا لم يأت لإثبات نظرية أو حقيقة علمية، ولكن لتعليل وجود هذه الظاهرة بأسلوب جمالي رشيق فيه نظر وطرب للسامع؛ لطرافة تعليله.

قال أحد الشعراء يهنئ فيها بمولود:

لم يستهلَّ بُكاً ولكن مُنْكِراً أن لم تُعَدُّ له الدُّروعُ لَفائِفاَ

فهذا المولود يكون بكاؤه وصراخه عند الولادة لعلة طبيعية، إلا أن الشاعر وظفها ساردا علة أخرى وكأنه ينكر العلة الطبيعية؛ وعلته أن هذا المولود من بيت عز ومجد ورفعة؛ فبكاؤه الناتج هذا؛ لأنه لم تعدُّ له الدروع وأدوات الحرب والقتال، وفي هذا كناية عن فروسية أهله؛ فإذا كان رضيعهم هكذا فكيف بكبيرهم؛ وهو كقول عمرو بن كلثوم:

إذا بَلَغَ الرَّضِيعُ لَنَا فِطاما تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدِينا

ومن ذلك قول أبي الطيب المتنبي في المبالغة في الوصف بالجود:

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

ينكر الشاعر العلة الطبيعية لقتل الأعداء؛ لأن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، ولكن الشاعر ادعى أن طبيعة الكرم غلبت على ممدوحه، وكذلك محبته أن يصدق

رجاء الراجين، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم وهذا مبالغة في وصفه بالجود ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي أي تناهي في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات؛ فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه وفيه نوع آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيظ والحنق، بل بالقسط والعدل واستجابة لرجاء من يرجوه.

ومثله قول الشاعر مبالغة في المدح:

أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

وذكاء: الشمس، جنحت: وقت الغروب والمغيب، وهو يعلل لاصفرار الشمس عند المغيب بسبب غير الطبيعي؛ وهو أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب الطبيعي ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح، كما يفارق المحب حبيبه فيحزن لذلك ويصيبه الاصفرار والشحوب.

ومثله قول الشاعر:

ما قصَّر الغيث عن مصر وتربتها طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجل

ولا جرى النِّيل إلا وهو معترف بسبقكم فلذا يجري على مهل

يتحدث الشاعر عن قلة الغيث بمصر في فترات القحط، ويعزو هذا إلى أسباب غير الطبيعية أهمها في رأيه خجل الغيث من جود الممدوح، وهو كذلك إذا جرى يجري على استحياء منه.

فلهذا ينكر الشاعر هنا الأسباب الطبيعية لقلة الغيث بمصر، ويجعل السبب الرئيس، أن الغيث يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده؛ لأنه لا يعجز عن مسابقته في الكرم والعطاء.

ومثله:

ما زلزلت مصر من يكد يراد بها وانما رقصت من عدله طربا

وكقول أبي الطيب المتنبي:

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرحضاء

فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة، ولكن الشاعر جعل علة نزول المطر غيرته من جود الممدوح؛ ولذا حزن ومرض من عدم قدرته على مجاراة جوده؛ فأصيب بالحمى؛ فنزل ماؤه الناتج عن مرضه مطرا للعباد.

وقد يأتي في الرثاء من خلال توظيف مصادر الطبيعة؛ كقول المعري:

وما كُلفة البدر المنير قديمةٌ ولكنها في وجهه أثر اللطم

يقصد: أن الحزن على (المرثي) شمل كل مظاهر الكون؛ ومنها البدر، فيدعى أن ما يظهر على وجهه من كدرة (كلفة البدر) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، واللطم لغة جسدية تبين للرائي شدة حزن اللاطم على هذا الميت، وهي من عادات الجاهلية وقد نبذها الإسلام.

وكقول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

عطل الكريم من الغنى: أي: خلو الكريم من الغنى، يقال: عطل يعطل عطلا، إذا خلا .

علل عدم إصابة الغني الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالي كالطود العظيم من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالي والغني لحاجة الخلق إليه كالسيل.

أي: أنه علل فقر الكريم بعلة ادعاها زخرفيا في الكلام دون مستند من الحقيقة، هو أن ذا المكانة الرفيعة لا يكون غنيا، قياسا على أن السيل لا يصل إلى المكان العالي، وعبر عن ذلك بأنه حرب له.

وكقول الشاعر في إظهار الحب والوجد:

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدىّ حاضر

ما القلب إلا داره دقت له فيها البشائر

فينكر خفقان القلب لعلة طبيعية، وما يتصل بها من تغيرات في الجسم لإحداث الخفقان؛ ولكن ذكر علة أخرى وهي فرحة القلب بهذا الحبيب فكأنها دار دقت فيها الطبول والمعازف.

قول الشاعر ابْنِ نُبَاتَة في صفة فرس أدهم مُحَجَّل القوائم ذي غُرَة:

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا

سَرَى خَلْفَ الصَّباحِ يَطِيرُ مَشْياً ويَطْوِي خَلْفَهُ الأَفْلاَكَ طَيّاً

فَلَمَّا خَافَ وَشْكَ الفَوْتِ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ والْمُحَيَّا

الأدهم:الأسود، والثريا: كواكب، والسرى: المشى ليلاً، والقوائم: جمع قائمة، وهي رجل الفرس أو يده، والمحيا: الوجه.

يعلل الشاعر للبياض الموجود في غرة الفرس وقوائمه إلى تشبث الصباح بهما فترك أثر بياض الصبح عليهما منكرا العلة الطبيعية في خلقه؛ وذلك أن فرسه الأسود لشده سواده كأن الليل يستمد ظلمته منه، وله غرة بين عينيه كأنها الثريا تطلع بين ظلام الليل، وقد مشى ليلاً بسرعة كانت لها الأفلاك تطوى من خلفه طياً، فلما خاف الصباح من أن يسبقه الفرس ويفوته تعلق بقوائمه ومحياه متشبثاً بهما.

وكقول أبي طالب المأموني:

مغرم بالثناء صب بكب المجد يهتز للسماح ارتياحا

لا يذوق الإعفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا

هذا الرجل لكرمه لا ينام كما ينام الناس للراحة بل لجوده ينام ليلقاهم بمنامه، ويشير إلى أن العفاة إنما يحضرون له في صدر النهار على عادة الملوك فإذا كان الرواح قلوا، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم وقريب منه قو الشاعر عن محبوبته:

وإني لأستغفي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وهنا جعل من أسباب النوم لقاءالمغرم المتيم بحبيبه أن يراه في المنام فيريد النوم.

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز:

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب

حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب

يعلل حمرة العين بصورة أدبية مقبولة وهي قتلها للعاشقين.

ويقول الشاعرفي عتاب المحبوبة له:

أتتني تؤنبني بالبكا فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين تراني بها

فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، لكنه جعل السبب استحسان غير المحبوب علة للبكاء.

وقول الشاعرفي المدح:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

الشاعر هنا ينكر علة طبيعية وهي ما يحيط بالجوزاء من دائرة تشبه نطاق الخادم الذي يشده حول وسطه استعدادا للخدمة، وقد بالغ في جعل مظاهر الطبيعة كلها في خدمة الممدوح حتى الجوزاء التي لو لم تكن نيتها الخدمة لما شدت حول وسطها النطاق.

ومنه يقول ابن هانئ الأندلسي:

قد طيّبَ الأفواهَ طِيبُ ثنائِهِ مِنَ أجلِ ذا تجدُ الثّغورَ عِذابا

لو شَقّ عن قلبي امتحانُ ودَادهِ لوجدتَ من قلبي عليه حجابا

جعل العلة في طيب الفم إنما سببها هو ذكر الممدوح، لا علة أخرى منكرا غيرها من أسباب جمال الفم وطيبه.

ومن تعليلات الشعراء وحسنها؛ نذكر للمتنبي في قصيدة الحُمّى، وقد قالها بمصر حين أصابته:

ومطلعها:

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

ثم يقول إلى سبب علته:

يقولُ لِيَ الطبيبُ أكلْتَ شيئا وداؤُك في شرابِكَ و الطعامِ

و ما في طِبِّهِ أني جوادٌ أضرّ بجِسمِهِ طولُ الجِمامِ

تعوّدَ أن يُغَبّرَ في السّرايا ويدخلَ من قتامٍ في قتامِ

فأُمْسِكَ: لا يُطالُ له فيرعى ولا هوَ في العليقِ ولا اللجامِ

الجمام :الراحة .السرايا :جمع سرية، وهي القطعة من الجيش تسري إلى العدو، والقتام: الغبار، وأراد بدخول القتام: حضور الحرب.

فأمسك: أي الجواد، ولا يطال له: أي لا يرخى طِوَلُه، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى.

والمعنى، يقول: إن الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب؛ أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبثي وقعودي عن الأسفار، كالفرس الجواد، يضر بجسمه طول قيامه في المرابط، فيفتر ويني.

وقد تعود هذا الجواد _يعني نفسه_ أن يثير الغبار في الجيوش، ويخرج من حرب فيدخل في غيرها.

فأمسك هذا الجواد لا يرخى له الطِّوَل فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتلف من المخلاة _ التي تعلق على رأسه_ وليس هو في اللجام، وهذا مثل ضربه لنفسه، وأنه حليف الفراش، ممنوع عن الحركة، وجائز أن يكون هذا المثل قد ضربه لحالته مع كافور. [1]

وهذه العلة التي شبه فيه الشاعر نفسه بفرس حر قد أمُسك، وما أصابه من مرض ليس لعلة طبيعية ومرض معروف في الطب بل هو أمر لا يفهمه الطب، وذكر حاله كحال الفرس في التضييق عليه، والفرس يكره التضييق والحبس، وهذه أبيات قالها بعد جفوته مع كافور الإخشيدي.

ويتخذ أبو العلاء المعرّيّ من الشمعة معادلا موضوعيا لذاته المتألمة؛ يقول:

وصفراءَ لونِ التِّبْر مثلي جليدَةٌ على نُوَبِ الأيّامِ و العيشةِ الضّنْكِ
تُريكَ ابتساماً دائماً و تجلُّداً وصبراً على ما نابها و هيَ في الهُلْكِ
ولو نطقَتْ يوماً لقالَتْ: أَظنُّكم تخالون أني مِنْ حذارِ الرّدى أبكي
فلا تحسبوا دمعي لوَجْدٍ وجَدْتُهُ فقدْ تدمُع الأحداقُ من كثرةِ الضِّحْكِ

[1] شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، ص ٢٢٥.

بدأ الشاعر بعكس التشبيه وقلبه بأن الشمعة تشبهه في صبرها وجلدها على صروف الدهر ومصائبه، ثم انتقل إلى ما يصيبها هي من احتراق وذكر أن ما ينزل من عملية الاحتراق كالبكاء، وقال إن هذا البكاء نشأ عن كثرة الضحك، لا عن خوف هلاكها، وحالها كحاله تنهشه مصائب الدهر وما يظهر من حزنه ودمعه يظنه الناس غير ما يعرف هو. والعلة في البيت الأخير حيث ينكر أن يكون سبب البكاء هو لصروف الدهر ومصائبه بل إن ما ينزل من دمع هو لكثرة الضحك، لأن الإنسان عندما يفرح أيضا تتساقط منه دمع الفرح، وهذه كلها محاولات منه لإخفاء جزعه، فالسياق يكشف عن نفس متألمة حزينة فكيف يكون الدمع لغير هذا الحزن المسيطر على كلماته.

علل بعلل أدبية طريفة (شعرا أو نثرا) من تأليفك:

- دنوّ السحاب من الأرض.- كسوف الشمس.- طول الليل.– حدوث الزلالزل –أصوات الطيورفي الصباح مع الندى.

- احتراق دار غاب عنها أهلوها. - نزول المطر فى يوم مات فيه عظيم.

اللف والنشر

اللف والنشر (لغة): اللفّ: يقال: لف الشيء اذا جمعه، ويطلق عليه بعض البلاغيين الطي، و(النشر) يقال:نشر الشيء اذا بسطه.

و(اصطلاحا): هو أن يذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه

وله ثلاثة أضرب:

(١) أن يكون النشر فيه علي ترتيب اللف.

(٢) أن يكون النشر فيه علي خلاف ترتيب اللف.

(٣) يأتي علي جهة الإجمال من قبيل اللف والنشر.

فالأول: لأن النشر إما على ترتيب اللف؛ كقوله تعالى: **(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)** (الإسراء:٢٩)

والغَل: البخل، والبسط: الإسراف فجمع الغل والبسط أولا ثم جاء بما يناسب كل منهما على الترتيب، فناسب الغل اللوم؛ أي: لوم الناس وتقريعهم، وناسب البسط الحسر والعجز عن الإنفاق؛ لأنك إن أسرفت أنفقت مالك ولم تجد ما يعينك على الحياة.

ولم يقل سبحانه: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك؛ فتقعد ملوما، ولا تبسطها كل البسط؛ فتقعد محسورا.

لأسباب منها: الإيجاز والبعد عن التكرار لكلمة (فتقعد) ولا داعي للتكرار، وكذلك جمع بين صفتين متناقضتين فأراد أن يجمع الجزاء ليكون أكثر وقع في نفس السامع، وأنه لما أخر الجزاء جعل السامع يتشوق إلى معرفة عاقبة كل منهما، والجمع بينهما يدعو السامع إلى كد الذهن واليقظة لرد كل واحد إلى ما يلائمه.

كقوله تعالى: **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۞ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ۞ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** (العنكبوت:٣٦-٤٠)

تفنن القرآن في ذكر هلاك هذه الأمم، فذكر مدين قوم شعيب وتبعهم بذكر هلاكهم بالرجفة ثم ذكر إجمالا أقوام عاد وثمود وقارون وفرعون ووزيره هامان، وأعاد عليهم طريقة هلاكهم مفصلا على الترتيب بالحاصب والصيحة والخسف والغرق.

فقوم عاد أرسل عليهم الحاصب، وقوم ثمود أهلكهم بالصيحة، وقارون خسف به الأرض، وفرعون وهامان أغرقهم.

ومنه قوله تعالى: **(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (القصص:٧٣)

جمع (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أولا ثم ذكر ما يلائم الليل أولا(السكون) ثم ما يلائم النهار ثانيا (ابتغاء الفضل)، وانظ كيف كان للف والنشر دور في الإيجاز والبلاغة واختيار الأسلوب الذي يصلح مع المقامين اللغوي والموقفي.

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان:١٨)، وقوله: تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)؛أي: لا

تعرض عنهم تكبراً، والصعر - بفتح العين - ميل الوجه، ذكر تصعير الخد والمشي مرحا، ثم أعاد عليهما مقت اللّه تعالى لصفتي الخيلاء والفخر.

ومن بديع هذا الباب قول امرئ القيس:

كأنَّ قُلُوب الطَّير رَطْبًا ويابسًا لدى وَكْرها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

قاله امرؤ القيس، يصف وكر العقاب، وصفها بكثرة صيدها للطيور، تأخذ قلوبها لتغذي بها فراخها، واليابس منها، هو الباقي من الغذاء.

وشبه الرطب واليابس من قلوب الطير بالعناب والحشف البالي، الأول رطبا ويابسا هذا مشبه، العناب والحشف البالي هذا مشبه به، ويسمى تشبيه ملفوفا، شبه الرطب واليابس من قلوب الطير بالعناب والحشف البالي، ذكر أولا المشبهين، ثم المشبه بهما على الترتيب، وهذا وصف العقاب بكثرة اصطياد الطيور، وقوله: رطبا ويابسا: حالان من القلوب، لماذا قلنا: رطبا ويابسا مشبهين؟ لأن كلا منهما مقابل الآخر، لا يمكن أن يكون في محل واحد رطبا ويابسا، لزم من ذلك التعدد، وإلا يمكن أن يقال: بأنه وصف لقلب واحد، لكن نقول: لا يمكن أن يجتمعا، لا يمكن أن يكون القلب رطبا ويابسا في وقت واحد من كل وجه.

وجمع هذا البيت من محاسن الفنون ما لم يجمعه بيت؛ فقد ذكر المقابلة بين المعاني(الرطب واليابس) و(العناب والحشف)، وصورة التشبيه الملفوف، وذكر كأن في أول البيت وهي التي تجمع خيوط البيت جميعا، وفن اللف والنشر المتداخل مع التشبيه في براعة وسهولة تداخل هذه الأنواع التي يصطاده العقاب.

والشاهد: ذكر كلمتي الرطب واليابس ثم ذكر العناب والحشف، والتقدير: رطبا كالعناب، ويابسا كالحشف البالي.

وقول ابن حيوس:

فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

الفعل واللون والمذاق وأعاد عليها صفات تناسبها المقلة والوجن والريق.

ومثله قول شمس الدين بن العفيف:

رأى جسدي والدمعَ والقلب والحشا فأضنى وأفنى واستمال وتيما

الجسد والدمع والقلب والحشا ثم أعاد على كل ما يصلح له أضنى وأفنى واستمال وتيّم.

وقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم

فيها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

الآراء والوجوه والسيوف ثم نشر ما يلائم على الترتيب فالآراء كالمعالم للهدى والوجوه كالمصابيح، والسيوف كالرجوم.

ومنه قول الشاعر:

أَلَسْتَ أنتَ الذي مِن وِرْدِ نِعمته ووِرْدِ راحته أجْنِي وأغتَرفُ

الورد: الشيء الذي يورد والأصل فيه الماء، قال تعالى: (ولما ورد ماء مدين)، والراحة: اليد، وقد جمع هذا البيت مع جمال الألفاظ بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر، ولما ذكر ورد النعمة وورد الراحة على التفصيل، ثم ذكر ما للنعمة وهو أجْنِي وما للراحة وهو أغترف، وقد جاءت على الترتيب فالأول للأول، والثاني للثاني.

ومَا أبدع قَول ابْن شرف القيرواني:

جاورْ عَلِيّاً ولاَ تَحْفلْ بِحادثةٍ إذَا ادرعيت فلاَ تَسألْ عنِ الأسَلِ

سلْ عنهُ وانْطقْ بهِ وانْظرْ إليهِ تَجدْ مِلء الْمَسَامِع والأفوَاهِ والمُقلِ

(٢) أن يكون النشر فيه علي خلاف ترتيب اللف.

كقوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا)**(الإسراء:١٢)

ذكر (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ثم نشر غير مرتب اعتمادا على تصرف السامع ورد مل واحد إلى ما يناسبه (لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) وابتغاؤ الفضل في النهار ومعرفة الحساب بالليل.

وقوله تعالى: **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**(آل عمران:١٠٦-١٠٧)

ذكر أولا (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ) وعندما فصل بدأ بالذين اسودت وجوههم وتلاه باللذين ابيضت وجوههم، ولهذا التقديم والتأخير دلالة وغرض بلاغي؛ فقدم عند وصف اليوم ذكر البياض، الذي هو شعار أهل النعيم، تشريفا لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة اللّه، ثم قدم في التفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلا بمساءتهم.

يقول الشاعر :

ولحظة ومحياه وقامته بدر الدجي وقضيب البان والراح

بدر الدجي عائد علي المحيا الذي هو الوجه، وقضيب البان عائد علي القامه، والراح وهي الخمر عائد علي اللحظ.

كقول ابن حيوس:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا

الحقف بكسر الحاء: وهو الرمل المتراكم الذي معه اعوجاج يشبه به الردف في العظم والاستدارة.؛ فاللف في (حقف وغصن وغزال)، والنشر في (لحظا وقدا وردفا) واللحظ يرجع إلي الغزال، والقد يرجع الي الغصن، والردف يرجع الي الحقف.

وضم الكلمات يعطينا نوع من التشبيه البليغ المحذوف الأداة؛ فالشاعر يذكر مواضع الجمال في المحبوبة ويشبه جمال عينيها بالغزال، وقدها وقوامها بالغصن وردفها بالحِقف.

وقول الفرزدق:

لقد خنت قوما لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

لألفيت فيهم معطيا أو مطاعنا وراءك شزرا بالوشيج المقوم

طريد دم: مطارد مطلوب لثأر، المغرم: الدّين، شزرا من شزر بمعنى طعن عن يمينه وعن شماله، الوشيج: شجر الرّماح، المقوّم: المستقيم لا عوج فيه.

لف صفات (طريد دم ومدين) ثم نشر(العطاء وطعن الرماح) مع اختلاف في الترتيب، فقم العطاء على الطعن وما العطاء إلا لونين من البذل عطاء مال وعطاء نفس (بذلها) فقدم العام على الخاص فكان أبلغ.

(٣) يأتي علي جهة الإجمال من قبيل اللف والنشر.

ومنه قوله تعالى: **(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** (البقرة:١١١)

فإن الضمير في قالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأمنا من اللبس لما علم من التعادي بين الفريقين

وتضليل كل واحد منهما لصاحبه، وقد جمعهما في الواو لاتفاق وجه زعمهما نجاتهما معا، واختلفا في إيثار كل منهما نفسه على الآخر دون صاحبه، وما أجمل الإيجاز في هذه الآية التي لو فصلت لأعطت كلاما كثيرا لا يفي بالغرض كما وفى أسلوب اللف والنشر هنا،

وبلاغة اللف والنشر تكمن في ذكر اللف مطويا فيه حكمة أو ما يتعلق به، فهو يهييء النفوس ويعدها لتلقي ما يذكر بعد من النشر العائد علي اللف، فاذا ما ذكر النشر بعد أن وقع في النفس موقعه تمت الفائدة أحسن تمام وتحقق الغرض أبلغ تحقيق؛ لأن النشر جاء والنفوس إليه متطلعة وله مترقبة[1]، ولست مع من يرى البديع حلية وتحسينا عرضيا بل هو أساليب متناثره في التراث الشعري والنثري للعرب، وهو تفنن في الأسلوب حسب المقام والمناسبة ، ولكن آفة البديع التكلف والزيادة في غير فائدة.

[1] علم البديع دراسة تاريخيه وفنيه، د.بسيوني عبد الفتاح، ص٢١٢.

المذهب الكلامي

هو أن يورد المتكلم على صحَّة دعواه حُجَّة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب.

فاحتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه؛ لأنه مأخوذ من علم الكلام أو ما يسمى بعلم النظرية الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية، وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز، وهو كثير في القرآن الكريم؛ يقول ابن حجة الحموي ردا على ابن المعتز: "وليس عدم علمه مانعا علم غيره، إذ لم يستشهد على هذا المذهب الكلامي بأعظم من شواهد القرآن، وأصح الأدلة في شواهد هذا النوع وأبلغها.

وقد جاء في القرآن كثير من الشواهد عليه منها:

كقوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)** (الأنبياء:٢٢) واللازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل، وقال تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (المؤمنون:٩١)، وفساد الكون لتعدد الآلهة ولكن الكون لم يفسد فليس هناك إله غير اللّه سبحانه.

وقوله تعالى في تعجيز الكافرين وتحديهم: **(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)** (يونس:٣٤)، وعلى طريقة السؤال الذي يحتاج إلى إجابة من خلال ذكر المحاجة؛ وقوله: (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (النمل٦٤)

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم:٢٧)؛ أي: والإعادة أهون عليه من البدء والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب.

وحجاج إبراهيم عليه السلام لقومه كثير في القرآن الكريم:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۞ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)(الأنعام:٧٤-٧٨)

وهنا تدرج في الحجة من الكوكب إلى القمر إلى الشمس ليزلزل معتقدهم الفاسد؛ أي الآلهة يعبد وإذا كان الإتفاق على مبدأ الظهور والأفول كدليل على ضعف المعبود؛ فكل آلهتهم ليست بآلهة بل هناك إلها أكبر للكون، مما دعاه إلى البراءة مما يعبدون.

ومنه حجاجه لقومه ما ذكره القرآن: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ۞**

وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (الشعراء:٦٩-٨٢)

سؤال إبراهيم عليه السلام: ما تعبدون، إجابتهم: نعبد أصناما، سأل هل يسمعون، هل ينفعون، هل يضرون، لم يجيبوا على أسئلته؛ لأن هذا لا يحدث ولن يحدث، ولو قال واحد منهم حدث سيكذبه الآخرون، أجابوا-كبارهم أو المترفون منهم- بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، وهي إجابات المعاندين في كل الأمم نسبة ما ورثوا إلى الآباء كأن هذا يعصمهم من الجواب، ولكن إبراهيم عدد ما ينعم به إلهه في مقابل عجز آلهتهم المزعومة.

وقوله تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)** (المائدة:١٨) ادعى اليهود والنصارى عدم وقوع العذاب عليهم؛ لانهم أبناء اللّه؛ والمذهب الكلامي يقتضي أنهم يعذبون والبنون لا يعذبون فليسوا ببنين له، وقد تضاربت أقوالهم لأنهم هم من قال: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٨٠)؛ لذا فقد اختلفت أقوالهم عن أنفسهم وتضاربت.

وقوله تعالى: **(قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)** (الزخرف:٨١)

"أي: أنا أول مَن يخضع للّه، كان له ولد أو لم يكن، وقد قام البرهان على نفيه. أو: وإن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أول مَن يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته، والانقياد إليه، كما يعظم ولد المِلك، لتعظيم أبيه وهذا

الكلام وارد على سبيل الفرض، والمراد: نفي الولد، وذلك أنه علَّق العبادة بكينونة الولد"[1].

والرسول لم يعظم أحدا إلا اللّه ولا انقاد لأحد غيره، إذن فليس للّه ولد كما يزعمون، وقريب منه قول سعيد بن جبير للحجاج، وقد قال له الحجاج حين أراد أن يقتله: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى؛ فقال سعيد: لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك، فنبهه إلى خطئه بأن إدخال النار من قدرة اللّه تعالى.

ومن الحديث النبوي قوله صلى اللّه عليه وسلم لأبي ذر الغفاري: **(واللّهِ لو تَعلمونَ ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلًا ولبَكَيتُمْ كثيرًا)**[2]، وبيان الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا، فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان، وحال الناس كحال من ينكر ذلك كخطابهم خطاب المنكر عند الحديث عن الموت، قال: (ثُمَّ إنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ)(المؤمنون:١٥)، فخاطبهم خطاب المنكر للموت مع معرفتهم الكافية به؛ لانصرافهم عن الاستعداد له.

ومن المذهب الكلامي في الشعر العربي؛ قول النابغة يعتذر إلى النعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء اللّه للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

---

[1] البحر المديد لابن عجيبة: ٥/ ٢٧٢.

[2] سنن الترمذي: رقم 2312 .

والمستراد: موضع يتردد فيه لطلب الرزق؛ يقول أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم فكما أن مدح أولئك لا يعد ذنبا فكذلك مدحي لمن أحسن إلي لا يعد ذنبا، فكأنه ألزمه الحجة دون عناء.

ومنه قول الفرزدق:

لِكُلِّ اِمرئٍ نَفسانِ نَفسٌ كَريمَةٌ وَأُخرى يُعاصيها الفَتى أَو يُطيعُها

وَنَفسُكَ مِن نَفسَيكَ تَشفَعُ لِلنَدى إِذا قَلَّ مِن أَحرارهِنَّ شَفيعُها

لكل إنسان نفسان: مطمئنة تأمر بالخير، وأمارة تأمر بالشر، والإنسان يعاصي الأمارة مرة ويطيعها أخرى، وأنت أيها الممدوح نفسك الأمارة إذا أمرتك بترك الندى شفعت المطمئنة إلى الأمارة في الندى في الحالة التي يقل الشفيع في الندى من النفوس، فأنت أكرم الناس.

ومنه قول ابن المعتز:

كيف لا يخضر عارضه ومياه الحسن تسقيه

كأنه قال: كل نبت يسقى فهو أخضر، وشارب هذا الغلام نبت ومياه الحسن تسقيه، فيكف لا يخضر.

ومثله قول مالك بن المرجل الأندلسي:

لو يكون الحب وصلا كله لم تكن غايته إلا الملل

أو يكون الحب هجرا كله لم تكن غايته إلا الأجل

إنما الوصل كمثل الماء لا يستطاب الماء إلا بالعلل

والعلل: يقال: "شَربَ عَلَلاً" : شَربَ ثَانِيَةً أَوْ تِبَاعاً بَعْدَ الشُّرْبِ الأَوَّلِ، والشربة الثانية تسمى عللا؛ أو الشرب بعد الشرب تباعا، فالبيتان الأولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فإنه قاس الوصل على الماء وسوق الحجج كثير في المناظرات وهو باب واسع من أبواب الإقناع، ومنه مناظرات أبي بكر الباقلاني بالقسطنطينية بين يدي ملكها، مع

بطارقته ونبلاء ملته، مناظرات ومحاورات: وقد سأله الملك عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: هل كان نبيكم يغزو ؟ قال أبو بكر: نعم، قال الملك: فهل كان يقاتل في المقدمة؟ قال: نعم، قال الملك : فهل كان ينتصر؟ قال أبو بكر: نعم، قال الملك: فهل كان يهزم ؟ قال أبو بكر: نعم، فقال الملك ساخرا: عجيب! نبي يهزم ؟! فقال أبو بكر: أإله ويصلب ؟! فبهت الملك.

والتراث العربي مليء بالمناظرة والحجاج وإظهار ثوابت الدين بالأدلة والبراهين.

ولأحمد شوقي في نهج البردة طريقة في الإقناع بالبرهان والدليل؛ فقد تشدق المستشرقون قائلين بأن الإسلام انتشر بحد السيف؛ فأفحمهم شوقي بقوله:

قالوا غَزَوتَ وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِثوا ... لِقَتلِ نَفسٍ وَلا جاؤوا لِسَفكِ دَمِ

جَهلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ ... فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ

لَمّا أَتى لَكَ عَفواً كُلُّ ذي حَسَبٍ ... تَكَفَّلَ السَيفُ بِالجُهّالِ وَالعَمَمِ

وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ ... ذَرعاً وَإِن تَلقَهُ بِالشَرِّ يَنحَسِمِ

سَلِ المَسيحِيَّةَ الغَرّاءَ كَم شَرِبَت ... بِالصابِ مِن شَهَواتِ الظالِمِ الغَلِمِ

لَولا حُماةٌ لَها هَبّوا لِنُصرَتِها ... بِالسَيفِ ما اِنتَفَعَت بِالرفقِ وَالرُحَمِ

لَولا مَكانٌ لِعيسى عِندَ مُرسِلِهِ ... وَحُرمَةٌ وَجَبَت لِلروحِ في القِدَمِ

لَسُمِّرَ البَدَنُ الطُهرُ الشَريفُ عَلى ... لَوحَينِ لَم يَخشَ مُؤذيهِ وَلَم يَجِمِ

جَلَّ المَسيحُ وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ ... إِنَّ العِقابَ بِقَدرِ الذَنبِ وَالجُرُمِ

تأكيد المدح بما بشبه الذم

أول من ذكر هذا النوع من البديع عبد اللّه بن المعتز، وعده من محاسن الكلام ، وسمّاه (تأكيد مدح بما يشبه الذم)، ومن البلاغيين من يسمي هذا الفن البديعي (الاستثناء) لاعتماده في التركيب عليه.

وهو ضربان:

الأول: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

الفلول: وهو الثلم يصيب السيف في حده، كسور تلحق حده، وقراع الكتائب: مضاربة الجيوش .

والشاعر هنا نفى أولا عن ممدوحيه صفة العيب ثم عاد فأثبت لهم بالاستثناء عيبا هو أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب، وهذه ليست في الواقع صفة ذم وإنما هي صفة مدح أثبتها وأكدها بما يشبه الذم.

وقد ذكر العيب أولا ونفاه في محاولة لخداع السامع بنفي العيب عنه، وأداة الاستثناء يعني أن هناك شيئا ناقصا مستثنى من نفي العيب جملة وهذا العيب المستثني ينتظره السامع بحرارة ليعرف ما خفي من صفات الذم، وفي ظل كل هذه الإيماءات والإشارات إلى وجود عيب لا محالة، يفاجئنا المتكلم بذكر صفة مدح؛ فتقع من المتلقي موقعا حسنا ويتلقى ذلك بالرضا والقبول، إذ فوجئ بما لا يتوقع.

بل أثبت لهم شجاعة على شجاعة، فالكسور التي تلحق بالسيف كناية عن شدة المقاتلين وبأسهم في الحروب.

ومنه في القرآن الكريم؛ نحو قوله تعالى: (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا۞لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) (مريم:٦١-٦٢)

وقال تعالى: **(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا)** (الواقعة:٢٥-٢٦)

فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال، فذكر ذاته قبل ذكر ما بعدها يوم إخراج الشيء مما قبلها، فإذا وليها صفة مدح جاء التأكيد.

جاء بسماع اللغو والتأثيم وهو عيب ثم نفاه ولكنه جاء بأداة الاستثناء التي توهم وجود شيء مستكره سماعه، ولكنه أثبت هنا صفة مدح أخرى.

وكأن ما بين التركيبين قبل الاستثناء وبعد تأكيد وتكرار على أن الجنة لا يسمع فيها إلا كل خير وسلام.

ومنه قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ)** (المائدة:٥٩) فالعيب في نظر المشركين إيمانهم وهو يؤكد المدح وينفي عنهم العيب.

وأمثلة هذا الضرب من الشعر العربي كثيرة ؛ نحو:

وقول حاتم الطائي:

وما تشتكي جارتي غير أنني إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع أهلها إليها ولم تقصر عليّ ستورها

من مكارم الأخلاق عند العرب حفظ الجوار المال العرض والنفس، وهو ينفي عن نفسه كل عيب، ويؤكد هذا الذي نفاه بذكر صفة من أحسن الصفات وهي حفظ حقوق الجار.

قول الشاعر أبي هفّان:

ولا عيب فينا غير أن سماحنا أضرّ بنا، والبأسَ من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم وأفنى الندى أموالنا غير عائب

قال نافيا العيب عن نفسه وقومه واتى أداة الاستثناء ليوهم ذما؛ فجاء بمدح على مدح؛ فالسماحة والبأس أضرّا بهم وهذا ليس بعيب على الحقيقة، ولكنه توكيد مدح.

وقول ابن الرومي:

ليس له عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

أثبت الشاعر صفة مدح وهي انفراده بالخير والكرم، فليس له مثيل يشبهه، فجعل انفرادَه بالحسن وعدم وقوع العين على شبيه له عيبًا، فزاد بهذا من حسنه وأكد جماله.

وقول شاعر:

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

كيف ينسى الإنسان وطنه إلا إذا وجد السكينة والراحة والتقدير في مكان آخر، والشاعر نفى عن هؤلاء كل عيب إلا عيبا واحد هو أن من يحل ضيفا بهم ينسى أهله ووطنه وهنا يؤكد لهم صفات المدح التي خالها السامع صفات ذم.

وقول أبي هلال العسكري:

ولا عيب فيه غير أن ذوي الندى خساس إذا قيسوا به ولئام

جعله فوق كل كريم، وأكد له الكرم بعد أن أوهم بذكر صفه ذم.

وقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير شح نسائهم ومن المكارم أن يكن شحاحا

جعل الشح هنا بمعنى الحفاظ على أموال الزوج فلا يسرفن في الإنفاق، وهي من الصفات الحميدة، وربما بالغ في المحافظة فجعلها شحا. ومنه قول صفي الدين الحلي:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وحَشَم الرجلِ: خاصّته الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه، كالأقارب والخدم وكل من يغضب لغضبه ويرضى لرضاه.

وقول الآخر:

ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

والثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له.

كقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: **(أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)**

ذكر صفة مدح وهي أنه صلى اللّه عليه وسلم أفصح العرب وأتى بأداة استثناء توهم نقص هذا المدح ولكنه جاء بصفة مدح أخرى وهي أنه من قريش، وقرشي أفصح العرب.

ومنه قول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

صفة كمال الأخلاق والصفة الثانية أنه جواد كريم، وهذه تأكيد للمدح الأول وتثبيت له.

ومثل هذا كثير في الشعر العربي:

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسيء الأعاديا

ومثله قول الآخر:

هو البحر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

الشاعر يشبه الممدوح بالبحر وهذه صفة مدح، ثم أكدت هذه الصفة بصفات مدح أخرى هي: أنه البحر زاخرا، وأنه الضرغام شجاعة، وأنه الوبل أي المطر غزارة.

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان:

الضرب الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخولها فيها؛ نحو: **فلان لا خير فيه إلّا أنه لا يحفظ ودا ولا عهدا ولا سرا.**

ويقول الشاعر أيضا من هذا الضرب:

فإنّ من لا مني لا خير فيه سوى وصفي له بأخسّ الناس كلّهم

فصفة المدح (خير) في فلان منفيّة ب (لا)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم (بالأخس) وهي داخلة في الصفة المنفية.

فصفة المدح (خير) في فلان منفيّة ب (لا)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم (عدم حفظ الود والوعهد والسر) وهي داخلة في الصفة المنفية.

ونحو: **لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون لليتم حقا.**

فصفة المدح (فضل) في فلان منفيّة ب (لا)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم (حق اليتيم) وهي داخلة في الصفة المنفية.

ومنه قولنا: **فلان لا أمل فيه إلّا أنّه يسيء الجوار.**

فصفة المدح (أمل) في فلان منفيّة ب (لا)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم (يسيء الجوار) وهي داخلة في الصفة المنفية.

الضرب الثاني: أن يثبت للشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له؛ نحو: **فلان مغرور إلّا أنّه أحمق.**

فصفة الذم (مغرور) مثبتة غير منفيّة أتي بعدها بأداة الاستثناء (إلّا) ثم تليت أداة الاستثناء بصفة ذم أخرى هي (أحمق).

ونحو: **فلان كذاب إلّا أنّه منافق.**

ويقول الشاعر:

هو الكلب، إلّا أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

فصفة الذم (الكلب) مثبتة غير منفيّة أتي بعدها بأداة الاستثناء (إلّا) ثم تليت أداة الاستثناء بصفة ذم أخرى هي (ملالة وسوء مراعاة).

خلا من الفضل غير أنّي أراه في الحمق لا يجارى

فصفة الذم (خلوه من الفضل) مثبتة غير منفيّة أتي بعدها بأداة الاستثناء (إلّا) ثم تليت أداة الاستثناء بصفة ذم أخرى هي (الحمق).

وقول القائل:

لئيم الطّباع سوى أنّه جبان يهون عليه الهوان

فصفة الذم (اللؤم) مثبتة غير منفيّة أتي بعدها بأداة الاستثناء (إلّا) ثم تليت أداة الاستثناء بصفة ذم أخرى هي (الجبن)، والشاعر العربي نفى عن نفسه صفتي اللؤم والجبن وجعلهما أحط الصفات؛ يقول السموءل بن عادياء:

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها فَلَيسَ إِلى حُسنِ الثَناءِ سَبيلُ

الأسلوب الحكيم

عرفه الخطيب القزويني بأنه: تلقِّي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيهًا على أنه الأولى بحاله، أو المهم له"[1]، وسماه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: اللغز في الجواب، وأطلق عليه الخطيب القزويني: المغالطة، وعزاه إلى عبد القاهر الجرجاني، كما أطلق على هذا الفن: الكلام بالموجِب، عند ابن أبي الإصبع المصري في كتابه (بديع القرآن).

أما تسمية الأسلوب الحكيم فهي تسمية السكاكي في كتاب مفتاح العلوم.

ومرة يقال: أسلوب الحكيم نسبة إلى المتكلم، أو الأسلوب الحكيم نسبة إلى بلاغة النص وحكمته، وفي الحالين هي بلاغة المتكلم الذي اختار ما يناسب المقام والسامع.

وسر هذا الفن أنه "قد يخاطبك إنسان أو يسألك سائل عن أمر من الأمور، فتجد من نفسك ميلًا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث، أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة؛ منها: أن السائل أعجز من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يَجْمُل به أن ينصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف مُحدِّثَك في الرأي ولا تريد أن تَجْبَهَهُ برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تصرفه في شيء من اللباقة عن الموضوع الذي هو

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، ٢/ ٩٤.

فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى."[1]، وهو أسلوب في صرف المتلقي إلى أمر مهم هو أنفع له أو كان الأولى أن يسأل عما يجب السؤال عنه لا أن يوجه جهده إلى ما لا يفيد، وأمثلته كثيرة منها:

قوله تعالى :(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة: ١٨٩) فقد سأل أصحاب رسول االله صلى اللّه عليه وسلم عن الهلال: لمَ يبدو صغيرًا مثل الخيط، ثم يعظم ويستدير، ثم ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت الآية، وفيها صرفهم إلى بيان الحكمة من الأهلة، وكأنه يقول لهم: كان الأولى أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة، لا عن سبب تزايدها في أول الشهر وتناقصها في آخره، فالسؤال عن أمر لا فائدة منه، أو أنهم تركوا الأنفع وسألوا عن غيره، فجاء الجواب تذكيرا وتعديلا لما ترك الاهتمام به.

وفي الآية تناسب في بين ذكر الأهلة وإتيان البيوت ففي قوله تعالى: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورهَا) فقد كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدا بذلك، وظنا أنه بر. فأخبر اللّه أنه ليس ببر؛ لأن اللّه تعالى، لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها اللّه ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع، ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من

١ البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ص ٢٩٥.

الطريق السهل القريب، فيجب أن يكون السؤال في موضعه كما يجب أن يكون الفعل أيضا.

ومنه قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة:٢١٥)، فالمسلمون سألوا النبي صلى اللّه عليه وسلم ماذا ننفق من أموالنا، فصرفهم عن هذا ببيان المصرف، لأن النفقة لا يعتد بها إن لم تقع موقعها.

سأل رجل بلالا مولى أبي بكر رحمه اللّه وقد أقبل من جهة الحلبة: من سبق؟ قال :سبق المقربون .قال :إنما أسألك عن الخيل .قال :وأنا أجيبك عن الخير. فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له.

وقال الحجاج لرجل من الخوارج :أجمعت القرآن؟ قال :أمتفرقا كان فأجمعه؟ قال أتقرؤه ظاهرا؟ قال :بل أقرؤه وأنا أنظر إليه .قال: أفتحفظه؟ قال :أفخشيت فراره فأحفظه؟ قال ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال لعنه اللّه ولعنك .قال :إنك مقتول فكيف تلقى اللّه؟ قال ألقى اللّه بعملي، وتلقاه أنت بدمي.

وقول الشاعر:

قال ثقّلت إذا أتيت مرارا قلت ثقّلت كاهلي بالأيادي

قال طوّلت قلت أوليت طولا قال أبرمت قلت حبل ودادي

فصاحب الشاعر يقول له : قد ثقلت عليك وحملتك المشقة بكثرة زياراتي؛ فيصرفه الشاعر عن رأيه في أدب وظرف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر ، ويقول له : إنك ثقلت كاهلي بما أغدقت عليّ من نعم، وفي البيت الثاني يقول صاحبه : قد طولت إقامتي عندك

وأبرمتك؛ أي: جعلتك برما ملولا ، فيرد الشاعر عليه مرة أخرى في أدب ولطف؛ قائلا: أبرمت قلت حبل ودادي.

ومنه أيضا ما جرى بين القبعثري والحجاج، فقد توعده الحجاج بقوله : ولأحملنك على الأدهم «فقال القبعثري» :مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال له الحجاج : أردت الحديد، فقال القبعثري: لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا، أراد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المخصوص، وحملهما القبعثري على الفرس الأدهم الذي ليس بليدا، فالكلام هنا قد حمله القبعثري على خلاف مراد الحجاج قائله.

ويتجلى الأسلوب الحكيم في مناظرة سعيد بن جبير مع الحجاج بن يوسف، راجع القصة، ويمكننا القول إنه: كل جواب خالف سؤالا لنكتة.

الفصل الثاني

فنون البديع

اللفظي

في هذا الفصل ندرس فنون البديع اللفظي وهي مجموعة من الفنون اعتمدت في تأثيرها على السامع على اللفظ يتلوه المعنى، وجرس اللفظ يحدث تأثيره في النفوس، ويساعد على التواصل عن طريق وقع اللفظ على الأذن.

وقد اهتم البلاغيون في دراستهم لعلم البلاغة بدراسة فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، وجعلوا لذلك شروط منها:

ما يتصل بفصاحة الكلمة؛ أن تخلو الكلمة من تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي؛ يقول د.محمد أبو موسى:"هي أن تكون لينة سهلة النطق تتجاور أصواتها تجاورا لينا هادئا ملسا، وأن تكون مألوفة جرت على الألنسة، ورنت أصداؤها في محافل الشعر والأدب، وأن تكون واردة على قواعد تصريف الكلمات"[1]

فالسهولة واليسر على اللسان والطرافة واللطافة في الآذان، ومعايير الانتشار والتداول هي من شروط فصاحتها بعد مراعاة تكوينها الصوتي واللفظي.

ثم يقول: "وأبرز سبب يذكر لتنافر الحروف هو قرب مخارجها، أي أن تكون حروف الكلمة المتتابعة تخرج من مخارج قريبة جدا، وهذا -كما قالوا- يشبه مشي المقيد"[2]

[1] خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى: ص٦٢.

[2] السابق، ص٦٢.

والغرابة نحو:كلمة الطرموق: الطين، والاستمصال: الإسهال، والاطرغشاش والإبرغشاش للشفاء، وهذه من الكلمات التي يرفضها البلاغيون لثقلها على اللسان والآذان.

وفصاحة الكلام بأن يخلو من عيوب منها: تنافر الكلمات مجتمعة، وضعف التأليف، والتعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، كثرة التكرار، تتابُع الإضافات.

وهذه العيوب منها ما يعتمد على الفنون اللفظية والجرس الصوتي، ولكي تكون الجملة فصيحة بهذه المقاييس لابد أن تعتمد في أساسها على اختاير كلماته، وقد تكون كل كلمة فصيحة في موضعها مفردة ولكن نظم الكلمات لا يعطيها هذه المزية في التركيب.

ومن فنون البديع اللفظي التي تسهم في الجمال الموسيقي للغة الأدب شعره ونثره، وذكرها ون تكلف مع حاجة المقام إليها يجعل لها دور في عمليتي الإقناع والإمتاع:

- الجناس
- السجع/ الفاصلة
- رد الأعجاز على الصدور
- لزوم مالا يلزم
- التصريع
- وفنون أخرى؛ كالاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.

الجناس

ذكر ابن المعتز الجناس، قائلا: "أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[١]، وهو بذلك كما عده ابن المعتز ضرب من التكرار، وليست قضية الجناس التكرار فحسب بل له فوائد موسيقية وتشويقية وتأثيرية، وما يحدثه التشابه في الألفاظ أثره أن"تحدث بالسمع ميلا اليه، فإن النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ، فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة"[٢]

وقد اهتم البلاغيون بالجناس وعنوا به عناية كبيرة في مصنفاتهم؛ والجناس: هو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى، ومنه الجناس التام وهو أن يتفقا في نوع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، ونوع آخر من الجناس هو الجناس غير التام ما اختلف في أحد ركن من هذه الأركان.

أولا: الجناس التام وأنواعه:

---

[١] البديع : لعبدالله بن المعتز:ص٢٥.

[٢] جوهر الكنز، ابن الاثير الحلبي:ص ٩١.

تتنوع أشكال الحناس التام بين المماثل، والمستوفي، والمركب؛ وينقسم المركب إلى مركب مرفو، ومتشابه، ومفروق، وفي السطور القادمة بيان ذلك.

١- الجناس المماثل:

الجناس المماثل: ما كان من نوع واحد؛ كأن يكون بين اسمين؛ نحو قوله تعالى: **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)** (الروم:٥٥)

موضع الاستشهاد في ذكر لفظ الساعة مكررا مع اختلاف معناه، وجاء الجناس مماثلا من نوع واحد وهو الاسم، وقد جاء في سورة الروم ثلاث أيات تعرض لقيام الساعة مع اختلاف الخبر فيها، فيقول تعالى:(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ)(١٢)؛ أي: ييأسون ويتحيرون، والإبلاس: الحزن والانكسار، وقيل: هو انقطاع الحجة، وبعدها في السورة نفسها: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) (١٤)؛ فالمؤمن في روضة والكافر في عذاب؛ ثم ذكر الآية موضع الاستشهاد في الآية ٥٥ من السورة.

ومثله قوله تعالى: **(يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ۞ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ)** (النور: ٤٣-٤٤)

والأبصار جاءت بمعنيين: الاول النظر، والثاني: الاعتبار والعقول.

وقول أبي تمام:

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

صدور العوالي في صدور الكتائب

صدور: الاولى بمعنى مقم الرمح، والثانية قلب الجيش.

٢- **الجناس المستوفى:** ما كان بين نوعين اسم وفعل.

نحو قول أبي تمام أيضا:

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد اللّه

الجناس تام مستوفي بين (يحيا) الفعل و(يحيى) الاسم، حسن أن يعيد اللفظة مع اختلاف المعنى ليزيد زادة غير متوقعة من السامع، كما حسن تكرار الحياة اسما وفعلا ليضفي على البيت راحة نفسية وحسن اختيار.

ومثله قول الآخر ولكنه هنا كان ينشد له الحياة فلم ينل ما أراد، وبالفعل أشاع الحياة في البيت وقد كان ينشدها لابنه، فكان ذكرها تسلية له؛ يقول الشاعر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر اللّه فيه سبيل

وقد رزق اللّه تعالى زكريا عليه السلام بيحيى عليه السلام واختار له اسمه، ومات شهيدا ليكون حيا عند ربه، قال تعالى: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (مريم:٧)

قول الشاعر:

إذا ما نازعتك النفس حرصا فأمسكها عن الشهوات أمسك

ولا تحرص ليوم أنت فيه وعد فرزق يومك رزق أمسك

بين فعل الأمر بالإمساك عن الشهوات، وبين كلمة الأمس وهي اسم

إذا رماك الدهر في معشر قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

بين فعل الأمر (دارهم) وبين (دارهم) بمعنى منازلهم، وفعل الأمر (أرضهم) وبين (أرضهم) بلادهم.

ومن جميل هذا الضرب؛ قول أبي الفتح البستي:

قيل للقلب ما دهاك أجبني قال لي بائع الفرانِ فراني

ناظَرَاه فيما جنى ناظِرَاه أو دَعَاني أمُت بما أودَعَاني

في النص ثلاثة مواضع للجناس؛ الأول: بين (الفران) اسم، و(فراني) فعل وهو من الجناس التام المستوفي؛ والثاني: بين (ناظَراه) من فعل المناظرة ومعناه: جادلاه وسائلاه، (وناظِراه) اسم هي عيناه، وهو من الجناس التام المستوفي، والمراد: أنه سحره بنظراته الساحرة، الثالث: فهو بين (دعاني) اتركاني و(أودعاني) تركت من وجد وعناء.

٣- **جناس التركيب:** وهو ما كان أحد لفظيه مركبا؛ وهو أنواع:

أ- **الجناس المركب المرفو:** إذا كان مركبا من كلمة وبعض كلمة.

كقول الحريري:

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحِمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

الوبل: المطر الغزير، والحمام: الموت.

التفنن في الجناس أن يخرج عن أن يقع بين كلمتين إلى أكثر من ذلك، ويساعده على ذلك الجرس الصوتي الحاصل بين الألفاظ الألو(مصابه) (م صابه) الميم من الكلمة السابقة مع كلمة لتحدث جرسا موسيقيا يوهم باكتمال الجناس.

ب- **الجناس المركب المتشابه**: مركب من من كلمتين مع اتفاق في الخط؛كقول أبي الفتح البستي:

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

كلمتان هما (ذا هبة) أي: صاحب هبة، فيهما اتفاق في الخط مع كلمة أخرى هي كلمة (ذاهبة) مندثرة.

ج- **الجناس المركب المفروق**: مركب من كلمتين مع عدم الاتفاق في الخط.

كقول أبي الفتح أيضا:

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا

ما الذي ضر مدي ر الجام لو جاملنا

هنا ظهر الافتراق بين الكلمتين وهو خلاف المتشابه (جام لنا) والجام: الكأس، وكلمة (جاملنا) من المجاملة.

وقول الشاعر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها

فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذي بها

وبين كلمة (تهذيبها) من التنسيق والترتيب والمراجعة، وكلمة (تهذي بها) أي: كالمجنون.

تمام الجناس هنا في تكرار الكلمة نفسها كما في الجناس المماثل والمستوفي، أو تكرار الكلمة مع الاستعانة بكلمة تجاورها سواء بجزء منها أو من كلمتين، والأصل في الجناس الصوت لا الخط.

ثانيا: الجناس غير التام

وهو ما اختلف فيه اللفظان في ركن من هذه الأركان؛ وهي: هيئة الحروف وعددها ونوعها وترتيبها.

١- الجناس المحرف

ويكون الجناس محرفا إذا اختلف اللفظان في هيئة الحروف (الضبط)؛ أي: في الحركة والسكون.

نحو قولهم: **(جبة البُرد جنة البَرد)**

البرد(بالضم): الصوف- البرد (بالفتح): انخفاض الحرارة، ويجمع المثال لونا من الجناس غير التام يسمى جناس التصحيف بين

كلمتي جُبَّة وجُنَّة، والأولى اللباس، والثانية الوقاية؛ أي: تقي من البرد.

ومنه قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ۝ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)** (الصافات: ٧٢-٧٣)

الجناس بين الحركة والسكون في كلمتي (مُنْذِرِينَ/الْمُنْذَرِينَ) فانظر كيف كرر اللفظة مرتين مع اختلاف في حركاتها وسكناتها، فكان له دور الكشف والبيان عن إنذار الْمُنْذَرِينَ ورفض المُنْذِرِينَ

كقولهم:**(البدعة شَرك الشِّرك)**

شَرَكُ: حَبَائِلَ الصّيْدِ، المِصْيَدَةَ، والجمع أشراك.

البدعة توقع صاحبها في مصيدة مضيعة الوقت على غير هدى، فلا أدرك سنة أحياها، كما أنه أجهد نفسه في غير فائدة، وأوقع نفسه في المحظور واقترب من المخالفة للمنهج السليم مما يقربه من الشرك.

وقول أبي العلاء المعري:

والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشِّعر أو بيت من الشَّعر

بين كلمتي: (الشِّعر) و (الشَّعر)، والشاعر جمع الحسن في ظاهر أحدهما وهو بيت الشعر (الخيمة) وبين الشعر(وهو بيت القصيد)

ولكل منهما بناء محكم، يزداد حسنا كلما اجتهد صانعه فيه؛ فحسن الجناس هنا.

٢- الجناس المصحف

وجناس التصحيف نسبة إلى الصحف والكتابة ويكون في اختلاف النقط، ومنهم من يسميه جناس الخط، وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا.

قوله تعالى: **(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)** (الشعراء:٧٩-٨٠). بين (يَسْقِينِ) و(يَشْفِينِ) جناس تصحيف.

ومنه قول عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لشاب أتاه ورأى إزاره يمس الأرض؛ فقال له عمر: **(ارفَعْ ثوبَك فإنَّه أَنْقَى لثوبِك وأَتْقَى لِربِّكَ)** فبين (أنقى) و(أتقى) جناس مصحف؛ لاختلاف الخط.

ومثله قول عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أيضا: **(لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر إن فاتني ربحه لم تفتني ريحة)** وبين (ربحه) و(ريحه) جناس تصحيف.

ومثله قول أبي فراس:

من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعترف

وقول الشاعر:

فإن حلو فليس لهم مقر وإن رحلوا فليس لهم مفر

٣- الجناس الناقص:

ويكون الجناس في الاختلاف في أعداد الحروف فقط، وقد استقر في أذهان كثير من الدارسين إطلاق الجناس الناقص على الجناس غير التام باختلاف أنواعه مع أن الجناس الناقص نوع منها، ماكان أحد اللفظين يزيد عن الآخر في أوله أو وسطه أو آخره.

أ- **الجناس الناقص المردوف:** وهو ما وقع النقص فيه أول اللفظ

كقوله تعالى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾**(القيامة: ٢٩-٣٠) وبين كلمتي (الساق) و(المساق) جناس في موضعه؛ ومنه: **(دوام الحال من المحال)**

المحال: المستحيل، والمعنى أن الدنيا تتقلب يوم لك ويوم عليك؛ لذا حرم اللّه على الإنسان إزهاق روحه؛ لأن مع العسر يسرا كما قال سبحانه.

وقول الشاعر:

فإن حلو فليس لهم مقر وإن رحلوا فليس لهم مفر

والجناس بين كلمتي: (حلوا) و(رحلوا).

ب- **الجناس الناقص المكتنف:** وهو ما وقع النقص فيه وسط اللفظ؛ كقولهم: (جدي جهدي).

الجد: الحظ، والجهد: المشقة، المعنى حظ الإنسان في الدنيا ما يقدمه من جهد واجتهاد.

ج- الجناس الناقص المطرف: وهو ما وقع النقص فيه آخر اللفظ؛ كقول أبي تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

عواص: جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا، وعواصم: من عصمه إذا حفظه وحماه، وقواض من قضى عليه إذا حكم، وقواضب: من قضبه إذا قطعه.

يمدون من أيد عواص على الأعداء فهي كالسيف تعصمهم وتحميهم، تصول وتجول بأسياف تقضي على الأعداء وهي قاطعة تبتر الرقاب دون رحمة.

وبين كلمة (عواص) و(عواصم) وبين كلمة (قواض) و(قواضب) جناس مطرف حسن؛ وكما يقول القزويني أن وجه الحسن فيه يكمن في المفاجأة؛ يقول: "ووجه حسنة أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم أنها هي التي مضت، وإنما أتي بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها"[1]

وقول البحتري:

[1] الإيضاح: ص ٣٥٧.

لئن صدفتَ عنا فربت أنفسٍ صوادٍ إلى تلك الوجوهِ الصوادفِ

صدفت: انصرفت عنا، وصواد: من الصدى وهو العطش، والصوادف:المعرضة، والجناس بين صواد وصوادف فزاد حرفا واحدا. ونحو: الهوى مطية الهوان.

د- الجناس الناقص المذيل: وهو أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد؛ كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

الجناس بين كلمتي (الجوى) و(الجوانح) زادت الخنساء حرفين، والجوانح: الضلوع.

وقال حسان بن ثابت رضى اللّه عنه:

وكنّا متى يغزو النبىّ قبيلة نصل جانبيه بالقنا والقنابل

القنا: الرماح، القَنْبَلة والقَنْبل جاء في لسان العرب: طائفة من الناس ومن الخيل، قيل: هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه، وقيل: هم جماعة الناس، قَنْبَلة من الخيل، وقَنْبَلة من الناس طائفة منهم، والجمع القَنابِل.

ويتبادر إلى ذهن السامع كلمة القنابل المعروفة الآن وهو سلاح شديد الإنفجار، ولكنه ينكر طبعا ورودها بهذا الاسم في صدر الإسلام؛ فيؤول معناها من خلال ذكر كلمة القنا وهو الرمح إلى أمر أيضا يعدم النبي صلى اللّه عليه وسلم في الحرب.

٤- **الجناس الذي يعتمد على الاختلاف في نوع الحروف**؛ وهو نوعان:

أ- **الجناس المضارع:** وهو الذي لا يقع الاختلاف فيه بأكثر من حرف، ويكون بينهما تقارب في المخرج.

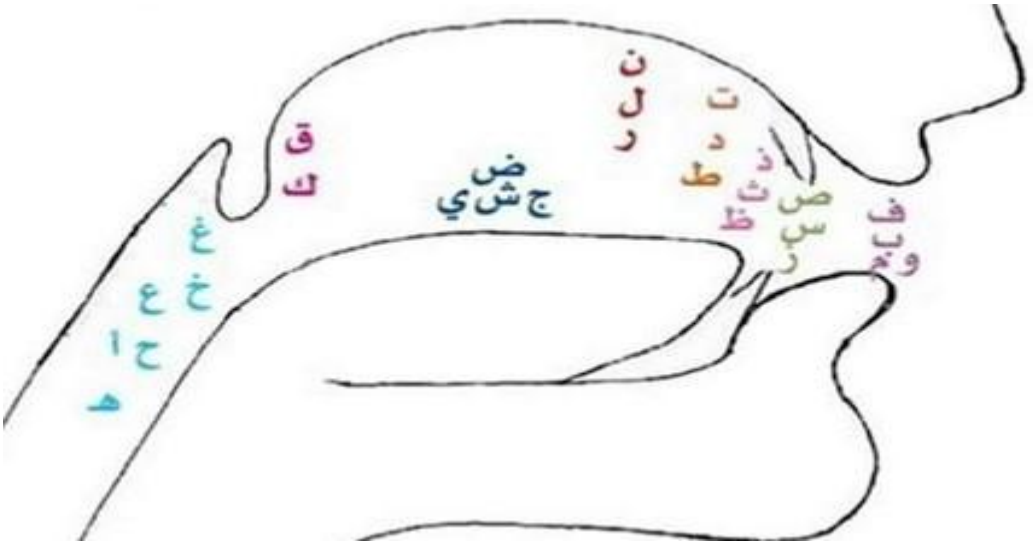

(صورة تظهر مخارج الحروف)

وقد يقع الاختلاف في أول الكلمة؛ كقول الحريري: **(بيني وبين كنى ليل دامس وطريق طامس)** والكن: الأهل والعشيرة، ليل دامس: شديد الظلام ، وطريق طامس: شديد الخفاء.

والجناس بين (دامس) و(طامس)؛ لاحتلافهما في نوع الحروف مع تقارب المخرج الدال والطاء، واختار الشاعر كلمتي (دامس وطامس) لبيان الخلاف الشديد بينه وبين قومه.

أو يقع في الوسط؛ كقوله تعالى: **(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)** (الأنعام:٢٦)

المشركون ينهون غيرهم عن سماع القرآن وينأون ويبتعدون عن سماعه، وبين (يَنْهَوْنَ) و(يَنْأَوْنَ) جناس غيرنام لاختلافه في نوع الحروف، وهو من المضارع لأن الهاء والهمزة من مخرج واحد.

وقوله تعالى: **(ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ)** (غافر:٧٥)

كلام الملائكة لأهل النار: ذلكم الذي نزل بكم من العذاب، بسبب فرحكم في الأرض بالباطل، وبسبب مرحكم وغروركم فيها.

(تَفْرَحُونَ) و(تَمْرَحُونَ) وبين الفاء والميم بينهما تقارب في المخرج.

وكقوله صلى اللّه عليه وسلم: **(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)**، فبين الخيل والخير جناس مطرف لحدوث النقص في آخر الكلمة، وقد أحدث اللفظان جرسا موسيقيا ،كما كان الاختيار بليغا في المزج بين الخيل والخير على جهة اللفظ، والسياق يحمل الخير؛ فجاء بالخيل وما في ذكرها ورؤيتها من الجمال والحسن والخير وهو جماع الفضائل؛ ليكون الجناس هنا لا يعتمد على الجرس للإطراب بل على ذروة الحسن والروعة، والحث على اقتنائها والعناية بها وحمايتها.

ومنه قول أبى تمام:

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه مغارم فى الأقوام وهى مغانم

ب- الجناس اللاحق: أن يقع الاختلاف في نوع الحروف مع تباعد المخرج.

كقوله تعالى: **(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)** (الهمزة:١)

" والهمزة من الهمز: بمعنى الطعن في أعراض الناس، ورميهم بما يؤذيهم، واللّمزة من اللمز: بمعنى السخرية من الغير، عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرهما، وقيل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل: العكس" . (التفسير الوسيط:٥/ ٥٠٤)

الجناس بين الهمزة واللمزة، وجاء الحرف المختلف في أول الكلمة.

وقول بعضهم: **(رب وضي غير رضي)**.الوضي تخفيف الوضيء وهو وضاءة الوجه وحسن منظره، والرضي من يرضى الناس فعله وخلقه)

والمراد: عدم الاغترار بالمظهر دون النظر إلى الجوهر، والجناس بين كلمتي(وضي) و(رضي) والاختلاف في الحرف الأول والحرفان متباعدان مخرجا.

ومنه في الوسط؛ قوله تعالى: **(وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)** (العاديات:٧-٨) والجناس بين شهيد وشديد والحرفان متباعدان في المخارج.

وقد يحثدث الاختلاف في الآخر: كقول تعالى: **(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)** (النساء: ٨٣) وبين (أَمْرٌ) و(الْأَمْنِ) جناس لاحق لتباعد في المخرج بين (الراء) و(النون).

وقول البحتري:

أَلِما فاتَ مِن تَلاقٍ تَلافٍ أَم لِشاكٍ مِنَ الصَبابَةِ شافِ

أَم هُوَ الدَمعُ عَن جَوى الحُبِّ بادٍ وَالجَوى في جَوانِحِ الصَدرِ خافِ

الجناس في البيت الأول من الجناس اللاحق بين (تَلاقٍ) و(تَلافٍ) وبين (شاكٍ) و(شافِ) والتلاقي: اللقاء، والتلافي: تدارك الأمر.

وفي البيت الثاني جناس ناقص مذيل زاد أحد اللفظين على الآخر بحرفين، بين كلمتي جوى وجوانح.

٥- **جناس القلب:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف؛ وهو نوعان:

أ- **قلب الكل:** وهو أن تكون حروف كل منهما على عكس حروف الآخر؛كقولهم: (حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه)وبين كلمتي (حتف) و(فتح) قلب كل.

ويقول القاضي الأرجاني:

مودّته تدوم لكلّ هول وهل كلّ مودّته تدوم.

فعكس البيت كاملا، يمكن قراءة البيت من اليمين للشمال والعكس.

ومثله قوله تعالى: **(كُلٌّ فِي فَلَكٍ)** (الأنبياء: ٣٣) والحقيقة العلمية أن الكون يسبح في فلك يدور بعضه حول بعض؛ فـ"القمر يسبح في فلك الأرض، والأرض وكل الكواكب يسبحون في فلك واحد هو فلك الشمس، والمجموعة الشمسية ومجموعة من الأفلاك الأخرى تسبح في فلك المجرة، وتسبح مجرتنا في فلك مركز هذه المجموعة وتسبح مجموعتنا حول مركز العنقود المحلي أو حشد المجرات المحلية"[١]، فقد تطابق اختيار المفردات المعبرة بدقة عن هذا الدائرة التي تسير بنظام محكم ولا تعرف أين طرف الحلقة، وهو ما عبرعنه جناس قلب الكلمات.

ونحو قوله تعالى: **(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)**(المدثر:٣)

ومنه قول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل: (سر فلا كبا بك الفرس) وجواب القاضي الفاضل: دام علا العماد.

ب-قلب البعض: وهو أن تكون بعض حروف كل منهما على عكس حروف الآخر؛ كدعائنا: **اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا.**

والروع: الحوف؛ وبين (عورة) و(روعة) قلب البعض.

[١] مقال في موقع إعجاز القرآن والسنة، بعنوان كل في فلك ج٣.

ومنه قوله تعالى: **(قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)** القصص:(٩٤).

وقع الناس بين كلمتي: (بين) و(بني) وقلب بعض الكلمة.

قول الشاعر:

إن بين الضلوع مني نارا تتلظى فكيف لي أن أطيقا؟

فبحقي عليك يا من سقاني أرحيقا سقيتني أم حريقا؟

فالجناس بين كلمتي (رحيقا) و(حريقا)؛ فالاختلاف هو في ترتيب الحرفين الأولين منهما.

وقول بعضهم: **(رحم اللّه امرأ أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه)**.

وعليه قول أبي الطيب المتنبي:

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَداحٌ يُكَلِّفُ لَفظُها الطّيرَ الوُقُوعَا

السمينة الكبيرة العجز، والوقوع: جلوس الطي؛ يقول: إنها منعمة ممنوعة الوصول إليها، سمينة حسنة الصوت والنطق، فلو سمع الطير لفظها في الهواء لسقط على الأرض، فكأن لفظها كلّف الطير الوقوع على الأرض، وجناس قلب البعض بين مُنَعَّمَةٌ ومُمَنَّعَةٌ.

ومنه قول عبد اللّه بن رواحة في مدح النبي صلى اللّه عليه وسلم:

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

قيل هو أمدح بيت قالته العرب، والناقة الأدماء: البيضاء بياضا واضحا، ومعتجرا: من اعتجر العمامة لفها على رأسه، والجناس المقلوب بين (البرد) وهو الثوب و (البدر).

وقول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

فالجناس بين (الصفائح) وهي السيوف العريضة و (الصحائف).

وقد ذكر البلاغيون للجناس أنواعا أخرى على حسب موقعه في الجملة:

كالجناس المقلوب المجنح: ويكون إذا وقع في المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره؛ نحو قول ابن نباتة:

ساق يريني قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاس

أي: وكل لفظ (ساق) إذا قلبته بعكس حروفه فهو (قاس)، وقد جاء أحدهما في أول البيت والثاني في طرفه.

والجناس المزدوج أو المكرر أو المردد: إذا ولي أحد المتجانسين الآخر؛ كقوله تعالى: **(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)** (النمل:٢٢)، فذكر سبأ ونبأ وفيهما جناس لاحق، وجناس مزدوج.

ومثله، ما ورد في الأثر: **(المؤمنون هينون لينون)**، هينون في معاملاتهم لينون في حديثهم وحسن عشرتهم.

وقولهم: من طلب وجد وجد. أي: من اجتهد وجد جزاء اجتهاده.

وقول الشاعر:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

في هذا البيت جناس ناقص مطرف وجناس مزدوج.

ما يلحق بالجناس

كما ذكروا أنواع أخرى وأدخلوها تحت ما يلحق بالجناس؛ ومنه:

أ-جناس الاشتقاق: أن يكون اللفظان من أصل واحد كقوله تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ)** (الروم:٤٣)

أي: إذا رأيت إعراض قومك بعد ظهور البراهين فأقم وجهك للدين، ولا تهتم لإعراضهم، وبين (أقم – القيم) جناش اشتقاق الأول فعل أمر والثاني صيغة مبالغة من القوامة، وأصلهما واحد وهو القيام.

وقوله تعالى: **(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)** (الواقعة:٨٨-٨٩)، وكلمتا (روح وريحان) مشتقتان من أصل واحد هو الروح.

وقوله تعالى: **(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)** (هود:١) وبين (أحكمت- حكيم) اشتقاق من حكم.

وقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: **(اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)** (أخرجه الإمام مسلم)، فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات.

وبين (الظلم وظلمات) اشتقاق من الظلم.

ومنه قول الشافعي رضي اللّه عنه وقد سئل عن النبيذ: **(أجمع أهل الحرمين على تحريمه)**، وكلمتا (الحرمين وتحريمه) اشتقاق من الحرم.

وقال أبو تمام:

وَأنجَدتُمُ مِن بَعدِ إتهامٍ داركُم

فَيا دَمعُ أنجِدني عَلى ساكِني نَجد

وقول البحتري:

يعشَى عن المجد الغبيُ ولن ترى في سؤددٍ أرَبا لغير أريب

يعشى: وهو ضعف الرؤية ليلا، وأراد يعمى، والقصد أنه لا يشغل به، وفيه كناية، السؤدد: رفعة القدر وكرم المنصب. أرب: غاية، ومأرب، أريب: عاقل لبيب، وبين (أرب وأريب) جناس اشتقاق.

ب-ما يشبه الاشتقاق : أن يتشابه اللفظان صوتا ويختلفا في الأصل.

كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)** (التوبة:٣٨) وبين كلمتي (الأرض- أرضيتم) جناس ولكن ليس بينهم اشتقاق.

وقوله تعالى: **(قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)** (الشعراء:١٦٨) وبين (قال) و(القالين)، جناس يشبه الاشتقاق فـ(قال) من القول، و(قالين) من قلى بمعنى أبغض.

وقوله تعالى: **(مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)** (الرحمن:٥٤) والجنى: من الجني أي قطف الثمر، والجنة من الجن بمعنى الخفاء.

وقول البحتري:

وإذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

هبت: هاجت، وهي من هب يهب، والهباء: الغبار وهو من هبا يهبو، والجناس يشبه الاشتقاق ويوهم ذلك والركيزة الأولى في الجناس تعتمد على التماثل الصوتي بين الكلمتين، والأصل في الجناس طلب المعنى لهذا التماثل لا المجيء به هنا دون معنى فإذا خلا من المعنى أو لم يكن في التكرار جديد فقد سقط المعنى وساء اللفظ؛ يقول عبد القاهر:"إنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحا

في نظمه والغرض الذي أريد به، وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلاما لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها فضيلة؛ لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني"[1].

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ص ٣٧٩.

السجع/ الفواصل

السجع (لغة): يقول ابن فارس: السِّينُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ مُتَوَازِنٍ، وَيُقَالُ سَجَعَتِ الْحَمَامَةُ، إِذَا هَدَرَتْ"[1] وهو من ترديد الحمام، وغيره من الطيور"فصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها." (نهاية الأرب للنويري: ٤٤٧/١) وفي اللسان: سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: اسْتَوَى وَاسْتَقَامَ وأَشبه بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالسَّجْعُ :الْكَلَامُ المُقَفَّى، وَالْجَمْعُ أَسجاع وأَساجِيعُ؛ وَكَلَامٌ مُسَجَّع . وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً :تَكَلَّم بِكَلَامٍ لَهُ فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر مِنْ غَيْر وَزْنٍ، وصاحبُه سَجّاعةٌ ؛ قَالَ ابْنُ جِنِّي: سُمِّيَ سَجْعاً لِاشْتِبَاهِ أَواخِره وَتَنَاسُبِ فواصله. (لسان العرب:مادة سجع)

(اصطلاحا): "هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر".

وقد استحسنها السكاكي؛ قائلا: "ومن جهات الحسن الأسجاع؛ وهي في النثر، كما القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية"، وهي نهاية الآيات القرآنية المتوافقة في الحرف الأخير، واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن أسجاع أو لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى: (كِتَابٌ

[1] مقاييس اللغة، (مادة:سجع).

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ)(فصلت:٣)؛ فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك"(خزانة الأدب:٢/٤١١) ، ويطلق السجع لشيوع المصطلح عند العرب؛ وكلمة السجع تحتمل السجع المحمود الذي يأتي لغرض بيان الحق، والسجع المذموم الذي يأتي لقلب الحق باطلا؛ وإسجاع القرآن وفواصله إنما طلبت المعاني ثم جاء السجع متناسقا معها، والفواصل من السجع المحمود؛ لذا يطلق أحيانا على الفواصل السجع وهو الفرق الدقيق؛ كأنك عندما تقول فاصلة تساوي سجعا محمودا؛ فهي موجزة وخاصة بالنص القرآني، ولاشتهار السجع كدرس تعليمي يغلب لفظ السجع على الفواصل، فإذا جاء في القرآن فالمراد به الفاصلة.

وبلغت عناية العرب بالسجع مبلغا جاء من جهة وقع الكلمة الأخيرة على الأذن سواء في الشعر أو النثر؛ "ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي؛ لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك؟ وآخر السجعة والقافية عندهم أشرف من أولها والعناية به أمس؛ ولذلك كلما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه"[١]

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين حوارا للشاعر عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي(شاعر عباسي، توفي ٢٠٠هـ)، وكان

[١] لسان العرب: ص ١١/٨.

يكثر من الأسجاع في كلامه؛ فقالوا له: "لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن.

قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر؛ فالحفظ اليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد، وبقلة التفلت، وما تكلّمَتْ به العرب من جيّد المنثور أكثر ممّا تكلّمَتْ به من جيّد الموزون، فلم يُحفَظْ من المنثور عُشرُهُ، ولا ضاع من الموزون عُشرُه.

قالوا: فقد قيل للذي قال يا رسول اللّه وذكروا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ)[1] (والغرة) في الأصل بياض الوجه والمراد بها الجنين الذي سقط ميتا على طريقة المجاز المرسل من إطلاق الجزء والمراد الكل، و(استهل) أول

[1] (رواه البخاري).

صياح المولود عند الولادة، و(يطل) يهدر ولا يطالب بديته، وفي رواية: (بطل) من البطلان.

والمراد بقوله صلى اللّه عليه وسلم: (هذا) إشارة إلى ولي المرأة المدافع عنها بكلامه المسجوع، الذي يقلب الباطل حقا والحق باطل، وهو ما عرف عن الكهان، و(إخوان الكهان)؛ أي: لمشابهته لهم في كلامهم الذي يزينونه بسجعهم فيردون به الحق ويقرون الباطل، والكهّان من الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب والإخبار عما سيقع مستقبلا.

وذكروا رواية (أسجعا كسَجْع الكُهّان).

قال عبد الصمد: لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لِحَقٍ فتشادق في كلامه.[1]

مصطلحات السجع:

القرينة: هي الفقرة، وسميت الفقرة قرينة، لأنها تقارن أختها، وهي القطعة من الكلام التي تأتي موازية لقطعة أخرى، وهي في النثر تشبه البيت من الشعر، و**الفاصلة**: هي الكلمة الأخيرة في القرة، وهي تشبه القافية من الشعر، **والروي**: الحرف الأخير من الفاصلة.

[1] انظر/ البيان والتبيين:ص١٥٣.

والأسجاع مبنية على سكون أواخر الفواصل ولا يتم الجرس إلا بالسكون دون الحركات، وأحسن السجع ما تساوت فقراته فلا يزيد بعضها على بعض.

أنواع السجع:

١-**السجعٌ القصيرٌ:** ماكانت قرينته قصيرة مكونة من كلمتين؛ كقوله تعالى: (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) (المرسلات:١-٢)

وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ۞ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)** (المدثر:١-٧)

وقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: **(أيُّها الناسُ أفشوا السلامَ وأطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصَلُّوا باللیلِ والناسُ نیامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ)**[١]

يقول ابن الأثير عن السجع القصير: "وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا".([٢])، ويجمع البلاغيون على أن السجع القصير أصعب جمعا وأقوى وقعا، وهو إلى النفوس أقرب.

---

[١] (سنن ابن ماجه).

المثل السائر:ص٢٣٥

٢-**السجعٌ المتوسطٌ:** مازاد عن ثلاثة وقل عن العشرة؛ كقوله تعالى: **(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ۞ وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)** (القمر: ١- ٢)

والسجع بين كلمتي (الْقَمَرُ- مُسْتَمِرٌّ) والاتفاق في الحرف الأخير من الفاصلة.

وقوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)** (الأحزاب:٦٤-٦٥)

والسجع بين كلمتي (سَعِيرًا- نَصِيرًا) والاتفاق في وزن الفاصلة وفي الحرف الأخير منها.

وقوله تعالى: **(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ۞ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)** (ق:٥-٧)

والسجع بين كلمات (مَرِيجٍ- فُرُوجٍ- بَهِيجٍ) والاتفاق في الحرف الأخير من الفاصلة.

٣-**السجعٌ الطويلٌ**: ما زاد عدد كلماته عن العشرة؛ كقوله تعالى: **(وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ۞ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)** (هود:١٠-١١) والسجع بين كلمتي (فَخُورٌ- كَبِيرٌ) والاتفاق في الحرف الأخير من الفاصلة.

وقوله تعالى : **(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۞ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)** (الأنفال:٤٣-٤٤)

والسجع بين كلمتي (الصُّدُور - الْأُمُورُ) والاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة، والحرف الأخير من الفاصلة.

وقوله تعالى: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)** (التوبة:١٢٨-١٢٩)

والسجع بين كلمتي (رَحِيمٌ - الْعَظِيمِ) والاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة، والحرف الأخير من الفاصلة.

أقسام السجع:

١-السجع المطرف:

أن يتوافق هذا النوع في حرف الروي من الكلمة الأخيرة لكنهما يختلفان وزنا؛ نحو قوله تعالى: **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)** (نوح:١٣-١٤) وسمي بذلك لأنه لا يقع الاتفاق إلا في الطرف؛ أي في الروي من القافية، وقد اختلفتا (الوقار) و(الأطوار) وزنا واتفقتا في الحرف الأخير.

قال تعالى: **(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)**(النبأ:٦-٧)، ووقع السجع في الطرف بين كلمتي (مهادًا وأوتادًا)؛ لتوافقهما في الكلمة الأخيرة ولكنهما اختلفتا في الوزن.

ومنه قول القائل: **(الإنسانُ بآدابِه، لا بزيِّهِ وثيابِه)**، وكذلك اختلفتا (آدابه وثيابه) وزنا واتفقتا في الحرف الأخير.

ومذهب القائلين بوروده في الشعر نذكر منه قول أبي تمام:

تَجلَّى بهِ رُشْدِي وأَثْرَتْ بِه يَدِي و فاض يه ثِمدي وأورى يهِ زَندي

تجلى به رشدي: أي ظهر بهذا الممدوح بلوغ المقاصد، وأثرت به يدي: صارت ذات ثراء، والثمد بكسر الثاء وسكون الميم: هو في الأصل الماء القليل، والمراد به هنا المال القليل، وأورى به زندي بفتح الزاي: أي صار ذا وري، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب.

والأسجاع في الحرف الأخير من كلمات: رشدي، يدي و ثمدي، زندي.

٢ – السجع المرصع:

وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها، ومن أمثلته في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: **(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)** (الغاشية:٢٥-٢٦)

إنَّ إلَيْنَا إيَابَهُمْ

إنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ

كل كلمة توافق أختها وزنا وقد تساوت الفقرات في عددها، واتفقت القافية وزنا وتقفية وفي حرف الروي.

وهي تشبه العقد المرصع الذي تتساوي فيه كل حبة بما يقابلها في الوزن والعدد.

ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)** (الانفطار:١٣-١٤)

وقول الحريري في: **(يَطبَعُ الأَسْجَاعَ بجواهِرِ لفظِه ويَقرَعُ الأسماعَ بزواجر وعْظِه).**

فقد اتفقت كلمات يَطبَعُ/يَقرَعُ – الأَسْجَاعَ/الأسماعَ- بجواهِر/ بزواجر- لفظِه/ وعْظِه،(في الوزن والتقفية والحرف الأخير)

وقول الشاعر:

فيا يومها كم من مناف منافق ويا ليلها كم من مواف موافق

وقول ابن النبيه:

فحريق جمرة سيفه للمعتدي ورحيق خمرة سيبه للمعتفي

انظر كيف اتفقت كلمات الشطر الأول مع الثاني وزنا وتقفية في البيتين السابقين.

٣ – السجع المتوازي:

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة (الفقرة) مع أختها في الوزن والروي؛ كقوله تعالى: **(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ)** (الواقعة:٣٠)

(مَخْضُودٍ- مَنْضُودٍ- مَمْدُودٍ) الاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة وروِيِّها.

وقوله تعالى: **(فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ۞ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)** (الغاشية:١٣-١٤)

(مَرْفُوعَةٌ- مَوْضُوعَةٌ) الاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة وروِيِّها.

وقوله تعالى في السورة ذاتها: **(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ۞وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)** (الغاشية:١٧-٢٠)

(خُلِقَتْ- رُفِعَتْ- نُصِبَتْ- سُطِحَتْ) الاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة وروِيِّها.

ومنه قول الحريري: **(الجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط)**، بين (قاسط- واسط) الاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة وروِيِّها.

وسئل حكيم عن أكرم الناس عِشْرة؛ فقال : مَنْ إذا قَرُب مَنَح، وإذا بَعُدَ مَدَح ، وإذا ضُويق سَمح.

وكلمات (مَنَح، مَدَح، سَمح) بينها اتفاق في الوزن حرف الروي.

ومن الشعر قول أبي الطيب المتنبي:

فنَحنُ في جَذَلٍ والرّومُ في وَجَلٍ
وَالبَرُّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَل

الجذل: الفرح، والوجل: الخوف

والمعنى: نحن فرحون بانتصاره، والروم في خوف منه لغاراته وغزواته وقوته، والبر مشتغل بجيشه الجرار، والبحر في خجل من غزارة كرمه وعطاء يده.

بين كلمتي (جذل- وجل) والاتفاق في وزن الكلمة الأخيرة في الشطر الأول ورويِّها.

٤-السجع المتوازن/ المتقارب: أن تتفق كلمتا الفاصلة في الوزن وتختلف في الروي

نحو قوله تعالى: **(وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ۞ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** (الصافات:١١٧-١١٨) والسجع متوازن بين كلمتي(الْمُسْتَبِينَ، والْمُسْتَقِيمَ)، الموافقة في الوزن والاختلاف الروي من القافية.

وقال تعالى: **(وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)** (الغاشية:١٥-١٦).

والسجع متوازن بين كلمتي (مصفوفة، ومبثوثة)، والأوزان هنا (مَفعولَة-مَفعولَة)، الموافقة في الوزن والاختلاف الروي من القافية (الفاء-الثّاء) ولا عِبرة للتّاء في القافية.

وقال تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ۞النَّجْمُ الثَّاقِبُ)** (الطارق:٢-٣).

والسجع متوازن بين كلمتي (الطّارقُ، الثّاقِبُ)، الموافقة في الوزن والاختلاف الروي من القافية.

٤- **السجع المشطور:** أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني، وسمي مشطورا؛ لأن الشطر في الشعر دون النثر، ومنه قول أبي تمام:

تدبير معتصم باللّه منتقم لله مرتغب في اللّه مرتقب

فالشطر الأول بنيت قافيتة على الميم بين كلمتي (معتصم، ومنتقم)، والشطر الثاني بنيت قافيتة على الباء(مرتغب، و مرتقب).

سجع الكهان ومدعي النبوة

والعلاقة بين الجن والكهان قبل بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم مشهورة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي

السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ"[1]

واستراق الجن للسمع في القرآن الكريم مذكور في حديث الجن عن أنفسهم وأحوالهم التي تبدلت بعد بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم، وكان أمرا جديدا عليهم؛ قال تعالى حكاية عنهم:(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) (الجن:٨-١٠)

وهؤلاء الكهان كانوا يأخذون الخبر من الجن ويجعلون صياغته سجعا لتطرب له أذن السامع؛ فيجمع بين صدق بعضه وزخرفة قوله؛ ومن الكهان المأمور الحارثي، كاهن بني الحارث بن كعب، وخُنافر الحميري، وكان يقول: إنه أسلم بمشورة تابعه (شصار)، ومن أمثلة سجعهم قول عُزّى سَلِمة الذي وصفه الجاحظ بأنه أشجع الكهان: والأرض والسماء، والعُقَاب والصَّقْعاء، واقعة بِبَقعاء، لقد نَفَّر المجدُ بني العُشَراء للمجد والثَّناء.

ومن الكاهنات الشعثاء وكاهنة ذي الخلصة والكاهنة السعدية والزرقاء بنت زهير والغيطلة القرشية ومن قول كاهنة منهم تنذرهم بغارة عليهم فقالت: "واللوح الخافق، والليل الغاسق،

[1] (رواه البخاري).

والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزْن الوادق، إن شجر الوادي ليَأْدُو خَتْلاً، ويَخْرُق أنيابًا عُصْلاً، وإن صخر الطَّوْد لَيُنْذِر ثُكْلاً، لا تجدون عنه مَعْلاً ".

والغريب أن تأثر كاتب نص السجع متأثر بالقرآن الكريم، فهل كان الكهان في أول بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد سمعوا القرآن الكريم فتأثروا ببيانه وصاغوا على منواله، أم أن السجع قد ضاع وما بقي هو من وضع الوضاعين والكتاب، أم أن هناك خلطا واضحا بين قول الكهان وأسجاعهم وبين مدعي النبوة الذين ظهروا بعد الإسلام ونسجوا على منواله لجذب الأتباع، وعلى كل فهذه نماذج للغو فارغ يشبه ويماثل سجع الكهان.

ولما نزل القرآن أول الأمر في مكة اعتمد على قصر الآيات مع كثرة الفواصل ليسهل حفظه ويتحدى به العرب؛ لأن أصعب السجع ما قصرت فقره، فتحداهم ببيانه وجماله الصوتي المصاحب للمعنى، بل كان له دور في هدم سجع الكهان إذ جاء القرآن وقد بلغ السجع مبلغا عظيما، وكذلك الشعر والخطب، والعرب في ذروة مجدهم في الفصاحة فأعجزهم ببيانه ونفع كلامه.

وقد نفي القرآن عن بيانه الكهانة والسوء؛ فقال في غير موضع: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ۞ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ۞ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

(الحاقة: ٤١-٤٣)، وقال أيضا: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ)(الطور:٢٩)

جماليات السجع:

تطرب له الأذن مع علو المعنى، وينبيه السامع إلى قيمة النص بهذه الألفاظ المسجوع، ولفت عنايته إلى النظر في تقابل الفقرات، وله مواضعه فيكون مقامه عند حاجة المتكلم إلى الإقناع حينا وإلى الإمتاع حينا آخر.

ويجب أن يأتي السجع عفوا غير متكلف "فقد كان المتقدمون لا يحلفون بالسجع ولا يقصدونه بتة، إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام، واتفق عن غير قصد ولا اكتساب، وإنما كانت كلماتهم متوازنة، وألفاظهم متناسبة، ومعانيهم ناصعة، وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة، وجمل كلامهم متماثلة"[١]

ويضرب ابن الأثير مثالا لجودة السجع وقبحة وطريقة استحضاره في الكلام وصياغته الصياغة المثلى؛ يقول: "إذا صورت في نفسك معنى من المعاني ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك إلا بزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجا إلى الزيادة ولا إلى النقصان؛ إنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه وإذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا إلا أن تضيف إليه شيئا آخر أو تنقص

[١] تحرير التحبير: ص ٤١٥.

منه، فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف، وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام"[1] ، وذلك بأن تكون المعاني على قدر الألفاظ لا زيادة فيها ولا نقص، ولكن إذا زاد اللفظ عن المعنى لإحداث السجع ظهر التكلف ووجه النقد إلى الكلام شعرا أو نثرا.

[1] المثل السائر: ص١٩٨.

رد الأعجاز على الصدور

من الفنون البديعية التي تأتي في النثر والشعر على حد سواء، ويعتمد في جماله على التكرار أو التكرار مع الجناس؛ بمعنى أن يكون اللفظ مكررا دون جناس أو أن يقع الجناس بين اللفظين المكررين.

وتعريفه في النثر: أنْ يَجْعَلَ المتكلِّمُ أحَدَ اللّفْظَيْنِ المكرَّرَين، أو المتجانسين أو مَا هو مُلْحقٌ بالمتجانِسَيْن في أوّل الفقَرَة، والآخر في آخِرها.

ونحو قوله تعالى للنبي صلى اللّه عليه وسلم : **(وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)** (الأحزاب:٣٧)، فقد تكرر اللفظ في أول العبارة وفي آخرها، وهو القصد من رد العجز على الصدر أي: رد أول الكلام أو الجملة على آخرها تكرارا.

ومنه قوله تعالى: **(هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** (آل عمران: ٨). فردَّ أول الكلام (هَبْ) على آخره (الْوَهَّابُ).

ونحو قوله تعالى: **(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ)** (الأنعام: ١٠).

ذكر لفظ الاستهزاء مرتين فقال في أول الآية(اسْتُهْزِئَ) وفي آخرها (يَسْتَهْزِؤُنَ)، وهو يختلف عن فن الإرصاد لأن الإرصاد دوره أن يعد لفظة في أول الكلام تنبئك عن آخره، وقد يجمع التركيب أكثر من فن لا تعارض في هذا بل يعد من التفنن والإبداع،

والأصل في كل جمال المعنى ودقة اللفظ.وقد يعدل القرآن عن فاصلة معينة إذا رأى في غيرها أفضل منها وأعلى بلاغة وتناسقا مع المعنى العام "ومن ذلك قوله سبحانه: (وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) (البقرة ٦٧). فربما وقع في النفس أن الفاصلة ترتبط بالاستهزاء، وتتصل به، ولكنها جاءت تبرءوا من الجهل، وفي ذلك إشارة إلى أن الاستهزاء بالناس جهل وسفه، لا يليق أن يصدر من عاقل ذى خلق"[1].

ومنه ما قال نوح عليه السلام في دعوته لقومه: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً)** (نوح:١٠) وهذا تكرار واللفظان بينهما اشتقاق من غفر.

وقوله تعالى: **(انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)** (الإسراء:٢١).

ونحو قوله تعالى: **(قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى)** (طه: ٦١).

ونحو: ما قاله لوط عليه السلام في دعوته لقومه: **(قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ)** (الشعراء:١٦٨)، وقد مر ذكره في جناس ما يشبه الاشتقاق، وهو لأن الأولى من قول، والثاني من قلى بمعنى أبغض، ومراد هذا الفن ربط الاول بالآخر، وقرع السامع

[1] من بلاغة القرآن، أحمد بدوي: ص٧٢.

بلفظ يريد أن ينبهه إلى مركزيته في الجملة ويدعوه إلى تدبره والعناية به، فإذا كان بين اللفظين جناس مع هذا الفن زادت حلاوته بإعادة اللفظة مع فائدة جديدة في اختلاف المعنى بين اللفظين.

وهذا الرد فيه ما يدل على التناسق بين الفاصلة ومقدم الآية تناسقا محكما، وهو أدعى لاستقرار المعنى وقبوله عند السامع.

ورد الأعجاز على الصدور تتنوع مواضعه في الشعر: وهو أن يكون أحد اللّفظين المكرّرين، أو المتجانِسَيْن، أو ما هو مُلْحَقٌ بالمجانسين في موضع من المواضع الآتية:

الصورة الأولى: أن يكون أحدُهما في أول البيت والثاني في آخره؛ كقول البحتري:

ضَرَائِبُ أَبْدَعْتَهَا فِي السَّمَاحْ فَلَسْنا نَرَى لَكَ فِيها ضَرِيبا

الضرائب: جَمْعُ "ضَريبة" وهي ما طُبِعَ عليه الإنسان، الضَريب: المثيل، ذكر كلمة ضرائب في أول البيت وذكر في آخره كلمة ضريبا وهي مما يشبه الاشتقاق.

ويقول الشاعر:

دَعَانِي مِنْ مَلامِكُمَا سَفَاهاً فَدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُما دَعَاني

فذكر اللفظ (دَعَانِي) مرتين مرة أوله ومرة آخره؛ ومثله قول الأفيشر:

سَرِيعٌ إلى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ خده وَلَيْسَ إلى دَاعِي النَّدَى بسَرِيعِ

فجاء بسريع مرة في أول البيت ومرة في آخره.

الصورة الثانية: أن تكون الكلمة الأولى في آخر الشطر الأول، والثانية في آخر الشطر الثاني؛قول الشاعر:

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن في حُفر الأحداث أحيانا

والمعنى: لو أن المحبوب زارنا ونحن أموات لبعث فينا الروحَ من جديد بزيارته؛ فجاء بكلمة (أحيانا) مرة في آخر الشطر الأول ومرة في آخر الشطر الثاني مع اختلاف معناها، واللفظان متجانسان الأول: اسم وهي جمع حين، والثاني: فعل، من الحياة.

وقال الحريري:

فَمَشْغُوفٌ بآياتِ الْمَثَانِي ومَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ الْمَثَانِي

الأولى: هي آيات القرآن، والثانية: هي أوتار النغم، فجاء بكلمة المثاني مرة في آخر الشطر الأول ومرة في آخر الشطر الثاني مع اختلاف معناها.

ونحو قول أبي تمام:

وَمَنْ كَانَ بِالبِيضِ الكواعِبِ مُغْرَماً

فَما زِلْتُ بِالبِيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَمَاَ

الكواعِبُ: الجارية المكتملة الأنوثة، والبيض القواضب: السُّيوف؛ فجاء بكلمة مغرما مرة في آخر الشطر الأول ومرة في آخر الشطر الثاني.

الصورة الثالثة: أن يكون أحد اللفظين في وسط الشطر الأول (حشوه)، والثاني في آخر الشطر الثاني من البيت؛ يقول الثعالبي:

وإذَا الْبَلاَبِلُ أفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلاَبِلَ باحْتِسَاءِ بَلاَبِلِ

البلابل الأولى في حشو الشطر الأول، والثانية في آخر البيت، وكلمة البلابل مذكورة ثلاث مرات بمعان مختلفة تجانسا؛ فالبلابل: الأولى جمع "بُلْبل" وهو طائر مشهور بصوته الجميل. والثانية جمع بِلْبَال: وهو الحزن، والثالثة: جمع بُلْبُلَةْ: وهي الخمر. وقول الصِّمَة بن عبد اللّه القُشَيْري:

أقولُ لِصَاحبي والعِيسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمَار

تمَتعْ مِنْ شِمِيم عَرَار نجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ من عَرَار

العَرَار: وردة ناعمة صفراء جميلة الرَّائحة، وذكر عرار في حشو الشطر الأول وأعادها في آخر البيت.

الصورة الرابعة: أن يكون أحد اللفظين في أول الشّطْر الثاني، والثاني في آخِر البيت؛ كقول القاضي الأرّجاني:

أَمَّلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلاَحَ لي أنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلاَحْ

ذكر (فلاح) مرتين مرة في أول الشطر الثاني ومرة في آخره، والأولى بمعنى ظهر، والثانية بمعنى الخير.

نحو قول ذي الرّمّة:

أَلِمَّا عَلَى الدَّار الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشاً مَقِيلُهَا

وَإنّ لَمْ يَكُنْ إلاَّ مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلاً فإنِّي نَافِعُ لي قَلِيلُهَا

أَلِمَّا: انْزلاَ نُزُولاً قَلِيلاً، مُعَرَّج: عَرَّجَ بالمكان، إذا نَزَل به، والمقيل: الموضع، أمر صاحبيه بزيارة دار حبيبه، ووجود أحبته ينفي وحستها، ولو كان النزول بها ساعة فإن هذا القليل نافع للشاعر لأنه يلقى فيه أحبته.

فذكر (قليلا) في أول الشطر الثاني، وأعادها في آخر البيت، وهو هنا يركز على كثرة القليل إذا كان مع الأحبة وهو خير عنده من حرمانه منهم.

الصورة الخامسة: أن يكون أحد اللفظين في حشو(وسط) الشطر الأول والثاني في آخر الشطر نفسه؛ كقول المتنبي:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرتِ أنت وهن منك أواهل

فقد خاطَب الشاعر منازل الأحبة قائلا لها: إن لها في قلبه منزلةً لا تزول، وإن أقفرتْ تلك المنازل وخلت من ساكنيها وعفا عليها الدهر؛ فهي لاتزال بعد ساكنة في قلبه، وكرر هنا اللفظ (منازل) في وسط الشطر الأول ثم في آخر الشطر نفسه وبين اللفظين جناس بين الأولى بمعنى مكان السكن، والثانية بمعنى المكانة والذكرى.

لزوم مالا يلزم

هو أن يجىء قبل حرف الرَّويِّ من الشعر، أو ما في معناه من الفاصلة، بما ليس بلازم في التقفية، ويُلتزم في بيتين أو أكثر من (النظم) أو في فاصلتين أو أكثر من (النثر)، فيكون الحرفان الأخيران متماثلين في كلّ القوافي، أو الثلاثة الأخيرة، أو تكون الكلمات مع ذلك متماثلة الوزن، إلى غير ذلك من التزام ما ليس بلازم في نظام التقفيات.

وهو تفنن من الشاعر أو الناثر أن يلتزم ما ليس بلازم منه، ومما يزيد هذا الفن حسنا وجمالا، والقصيدة العربية تلتزم حرف روي واحد في كل أبيات القصيدة، فيأتي الشاعر ويلزم نفسه بحرف الروي مع حرف قبله أو أكثر حسب قدرته الفنية مع مراعاة المعاني حتى لا يسقط في دائرة التكلف.

وقد جاء منه في الكلام المنثور كثير، وفي القرآن الكريم، ومعروف أن القرآن يأتي بالأساليب المتنوعة التي تخدم غرض السياق والمستمع والمقام دون نظر إلى الجمال اللفظي؛ فجمال اللفظ يأتي تابع لمعاني النظم.

فمنه قوله تعالى: **(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)** (الضحى:٩-١٠) والالتزام جاء في المماثلة بين (تَقْهَرْ وتَنْهَرْ) في الوزن والتزام حرفين في آخر الكلمات.

وقوله تعالى: **(فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)** (الطور:٢٩-٣٠)

والالتزام جاء في المماثلة بين (مَجْنُونٍ والْمَنُونِ) في التزام ثلاثة أحرف في آخر الكلمات.

وقوله تعالى: **(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ۞ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ۞ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ)** (الواقعة:٢٧-٢٩)

والالتزام جاء في المماثلة بين (مَخْضُودٍ ومَنْضُودٍ) في الوزن والتزام ثلاثة أحرف في آخر الكلمات.

ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ)** (الأعراف:٢٠١-٢٠٢)

والالتزام جاء في المماثلة بين (مُّبْصِرُونَ ويُقْصِرُونَ) في التزام ثلاثة أحرف في آخر الكلمات.

ومنه: **(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ۞ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ)** (ق:٢٧-٢٨)

والالتزام جاء في المماثلة بين (بَعِيدٍ وبِالْوَعِيدِ) في التزام ثلاثة أحرف في آخر الكلمات.

ومن لزوم ما لا يلزم في الشعر

قول أبي نواس:

اِترُكِ الأَطلالَ لا تَعبَأ بِها إِنَّها مِن كُلِّ بُؤسٍ دانِيَه

وَاشرَبِ الخَمرَ عَلى تَحريمِها إِنَّما دُنياكَ دارٌ فانِيَه

مِن عُقارٍ مَن رَآها قالَ لي صيدَتِ الشَمسُ لَنا في باطِيَه

العُقَارُ : الخمرُ، العُقَارُ من كل شيء: خياره، الباطية : إناء من خشب، وقد التزم الشاعر مقطع (انيه) أربعة أحرف في كلمة القافية، في كلمات دانية وفانية وباطية.

ومنه قول عبد اللّه بن الزَّبِير الأَسدي في المدح :

سَأَشْكُرُ عَمْراً مَا تَراخَتْ مَنِيَّتِي أَيادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتىً غَيْرُ مَحْجُوب الْغِنَى عَنْ صَدِيقهِ ولا مُظْهرُ الشَّكْوى إذَا النَّعْلُ زلَّتِ

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

لَمْ تُمْنَنْ: لم تنقطع، الخَلَّة: الحاجة والفقر، وقد التزام الشاعر اللام المشددة قبل حرف الروي.

كما التزم عروة بن أذينة (شاعر غزل) في قصيدته مالا يلزم؛ يقول:

إنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ كمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا

إنّي لَأَكتُمُ في الحَشا مِن حُبِّها وَجداً لَوَ اَصبَحَ فَوقَها لَأَظَلَّها

وَيَبيتُ تَحتَ جَوانِحي حُبٌّ لَها لَو كانَ تَحتَ فِراشِها لَأَقَلَّها

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّها وَأَجَلَّهَا

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

ومعنى (باكرها) سبق إليها في أول أحوالها، واللباقة: الحذق، ومعنى أدقها وأجلها: أتى بها دقيقة جليلة، فما يستحب دقتها

منها؛ مثل: الأنف والعين والثغر والخصر جعلها دقيقة، وما يستحب جلالتها منها؛ مثل: الساق والفخذ والعجز والصدر جعلها جليلة.

وقوله: (وإذا وجدت لها وساوس سلوة) يبين به استحكام حبها في قلبه، وأنه كلما تداخله ضجر بدلالها ورفضها، حدت نفسه بالتسلي عنها والتصبر دونها، أقبلت دواعي الميل إليها، والأسباب المتسلطة على قلبه والمشتملة على لبه شافعة لها؛ فنزعت ما خطر بباله.

وقد بدا الْتزام الشاعر في قصيدته باللام المشدّدة قبل حرف الروي الهاء.

وقد اهتم بهذا اللون من فنون البديع اللفظي أبو العلاء المعري؛ فجمع ما وافق هذا الفن تحت عنوان عُرف باللُّزوميات أو لزوم مالا يلزم.

التصريع

وهو جعل العروض مقفاة تقفية كالضرب، و كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه.والعروض آخر تفعيلة في الشطر الأول والضرب آخر تفعيلة في البيت.

والتصريع في الشعر كالسجع في النثر، وهو مأخوذ من مصراع البيت، وقد اهتم النقاد القدامى بالتصريع ،وهو من الدلائل على مقدرة الشاعر اللغوية والفنية.

وجمال التصريع في النغمة التي يحدثها عند بدء القصيدة، وهو جانب من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، وبخاصة إذا طلبه معنى القصيدة ولم يتكلفه الشاعر.

ويقول ابو تمام عنه:

وتَقْفُو إلى الجَدْوَى بجَدْوَى وإنَّما يروقكَ بيتُ الشعر حينَ يصرعُ

يرى من جمال مطلع القصيدة أن يصرع البيت، وهو القائل في أشهر قصائده:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

فصرَّع في مطلع هذه القصيدة بين كلمتي (الكُتُبِ/ واللَّعبِ).

ومنه قول امرئ القيس في مطلع قصيدته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فكلمتا (ومنزل- فحومل) على وزن واحد ، والشاهد في تقفية العروض والضرب في اللام.

وكقول أبي فراس الحمداني:

بأطراف المثقفة العوالي تفردنا بأوساط المعالي

والمثقّفة: المقوّمة، والعوالي: الرماح، والأوساط: جمع وسط الشيء وهو أفضل شيء فيه، فكلمتا (العوالي- المعالي) على وزن واحد والشاهد في تقفية العروض والضرب في اللام.

وذكر ابن الأثير قول امرئ القيس:

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْراً فَأَجْمِلِي

وقال: فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج إلى ما يليه، والتصريع بين (التَّدَلُّلِ/فَأَجْمِلِي)

وعليه ورد قول المتنبي:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصيحٍ قالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

المألوف من عادة الشعراء تقديم النسيب وهو ذكر الأحبة في شعرهم، كلما مدحوا؛ فأنكر المتنبي هذه العادة، وقال: أكل فصيح يقول الشعر وهو متيم بالحب حتى يبدأ بالنسيب يعني ليس الأمر على هذا فلا نستمر على هذه العادة، والتصريع بين كلمتي (المُقَدَّمُ/ مُتَيَّمُ)

ومن التصربع بيت أبي الطيب المتنبي:

مَغاني الشَعبِ طِيبًا في المَغاني بِمَنزلَةِ الرَبيعِ مِنَ الزَمانِ

يريد شعب بوان وهو موضعٌ كثير الشجر والمياه يعدّ من جنان الدنيا؛ يقول: منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة يعني أنها تفضل سائر الأمكنة طيبا كما يفضل الربيع سائر الأزمنة، والتصريع بين كلمتي (المَغاني/ الزَمانِ).

وهذا الفن كثير في مطالع القصائد العربية ويأتي على حاجة بناء القصيدة إليه؛ ويقول ابن سنان الخفاجي: "أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره ويفهم قبل تمام البيت روى القصيدة وقافيتها"[1].

[1] سر الفصاحة:ص ١٨٩.

الاقتباس

الاقتباس(لغة): من الفعل قَبَسَ، يقال: قَبَسَتُ منهُ ناراً أقبَسَ قبساً، فاقبَسَني أي أعطاني منهُ قبساً، واقتَبستُ منهُ علماً أيضا، أي: استَفَدتَهُ.[1]

واصطلاحا: أن يضمن الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه.

والاقتباس يقوي الغرض الذي نقل الشاعر أو الناثر الكلام لأجله، ويشير دائما إلى التكوين الثقافي للمقتبس وسعة اطلاعه.

ومنه قول ابن نباتة الخطيب: **"فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم لا تشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون".**

مقتبس من قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات:٢٢-٢٣)

وكقول الأحوص:

إِذَا رُمتُ عَنهَا سَلوَةً قالَ شَافِعٌ مِنَ الحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوِّ المَقَابِرُ

سَتَبقَى لهَا فِي مُضمَرِ القَلبِ والحشَا سَرَيرَةُ وُدٍّ يَومَ تُبلَى السَّرَائِرُ

مقتبس من قوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (الطارق:٩-١٠)

ومنه اقتباس البحتري من القرآن الكريم؛ يقول:

---

[1] لسان العرب، (مادة: قبس).

حَلَفتُ بالمَسعَى وبالخيفِ من منىً وبالبيت الحَرامِ العتيق

تحُجّه الاَركُب مَخشُوشةً ركبانُها من كُل فجٍّ عَمِيق

يُكَبِّرون اللّه لا مُخبِرٌ عن رَفثٍ مِنُهم ولا عَن فُسوق

والخيف: والخيف: ما ارتفع عن مسيل الوادي ولم يبلغ أن يكون جبلا، والأركب مخشوشة ركبانها: وهو البعير المخشوش وهُوَ مُشْتَقٌّ من خَشَّ في الشَّيْءِ إذا دَخَلَ فيه.

وقد اقتبس الشاعر من سورة الحج جزءا من آية: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)(الحج:٢٧)، كما اقتبس جزءا من قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَج) (البقرة :١٩٧)، واقتباسه هنا ليؤكد قسمه حيث قال: (حلفت) بكذا وكذا.

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

لآل فريغون في المكرمات يد أولا واعتذر أخيرا

إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا

مقتبس من قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) (الإنسان:٢٠)

وقول الآخر:

قد جاءَ نَصر اللّهِ والفتحُ وشَقَ عنا الظُلَمةَ الصبحُ

وهو مقتبس من قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر: ١)

وقول الشاعر:

ومالي قُوةٌ تَنهاكَ عَنَي ولا آوي الى رُكنٍ شَدِيدِ

مقتبس من قول سيدنا لوط: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (هود: ٨٠)

وقول الأبيوردي:

وقصائِدٍ مِثْلِ الرِّياضِ أَضَعْتُها في باخِلٍ ضاعَتْ بِهِ الأَحسابُ

فإذا تناشدها الرُّواةُ وأبصروا ممدوح قالوا: ساحرٌ كَذّابُ

مقتبس من قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (غافر: ٢٣-٢٤)

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف

وكقول الحريري: **"وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فإن قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة"**

مقتبس من الحديث الشريف: (انتظارُ الفرَجِ عبادةٌ)

وقول الحريري أيضا: "قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه". شاهت الوجوه؛ أي: قبحت، واللكع هو اللئيم. مقتبس من حديث رسول اللّه ف يغزوة حنين إذ قال: "**شاهت الوجوه**، فما خلق اللّه منهم إنساناً إلاّ ملأ اللّه عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا

مدبرين، فهزمهم اللّه، وقسم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين."[1]

ومنه قول البحتري:

أيا مُظهر الهجرانِ والمُضمِرَ الحُبا سَتَزدادُ حُباً إن أتيتَهُم غِبا

مقتبس من الحديث الشريف :(زُر غبا تزدد حباً)

وكقول ابن عبّاد:

قَالَ لِيْ إنَّ رَقِيْبِيْ سَيِّئُ الْخُلْقِ فَدَارِهْ

قُلْتُ دَعْنِيْ وَجْهُكَ الْجَـ ـنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهْ

رَقِيْبِيْ: حارسي ،سَيِّئُ الْخُلْقِ: قبيحُ الطبع غليظُه، فَدَارِهْ : من المداراة والملاطفة، مقتبس من لفظ الحديث النبوي: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).

وقال أبو جعفر الأندلسي الغرناطي:

لا تعاد الناس في أوطانهم قلما يرعى غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشا بينهم "خالق الناس بخلق حسن"

مقتبس من لفظ الحديث النبوي: (اتق اللّه حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[2]

قول الشاعر:

أقول وقد رأيت له سحابا من الهجران مقبلة علينا

وقد سحت عزاليها بهطل "حوالينا الصدود ولا علينا"

---

[1] (رواه مسلم).

[2] (رواه الترمذي).

سح المطر: سال، والغوادي: السحب تنشأ صباحا جمع غادية، والهطل: تتابع المطر وسيلانه، يقول: جاءت سحبه بمطر متتابع.
مقتبس من قول النبي صلى اللّه عليه وسلم في دعائه: (اللهم حوالينا ، ولا علينا)[1]

[1] (رواه البخاري).

التضمين

التضمين: لغة: ضمن الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع، والمضمن من الشعر، ما ضمنته بيتاً.[1]

واصطلاحا: هو أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء.

وقد يقع التضمين في بيت أو شطر أبعض شطر؛ ومن التضمين قول الشاعر:

كانت بلهنية الشبيبة سكرة فصحوت واستبدلت سيرة مجمل

وقعدت أنتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري.

وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي:

إذا ضاق صدري وخفت العدى تمثلت بيتا بحالي يليق

فباللّه أبلغ ما أرتجي وباللّه ادفع ما لا أطيق

وقول الشاعر (تمثلت) يعني أنه من التضمين، فإذا ضمنه شطرا أوبيتا ليس مشهورا نبه عليه، وإلا عد سرقة واتهم بها، أما إذا كان البيت أو الشطر مشهور فلا ينبه عليه، وإن نبه مع الشهرة كان تأكيدا منه.

وقول ابن العميد:

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَغْبوطاً بِصُحْبَتِه دَهْراً فَغَادَرَنِي فَرْداً بِلاَ سَكَنِ

[1] (لسان العرب: مادة ضمن).

هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إقْبَالٍ فَطَارَ بِهَا نَحْوَ السُّرُور وَأَلْجانِي إلَى الْحَزَنِ
كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيّاً عَلَى إحَنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشِّعْرِ أَنْشَدَنِي
"إنَّ الكِرَامَ إذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ"

البيت الأخير لأبي تمام، وقد نبّه الشاعر على التضمين بقوله: "ولم يكن في ضروب الشِّعْر أنْشَدَني".

وقد يضمن الشاعر شعره شطرا من شعر غيره، ومن هذا التضمين قول الحريري:

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعي "أضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أضَاعُوا"

المصراع (الشطر) الأخير لِلْعَرْجِى، وبيت العرجى هو:

أضاعوني وأيَ فَتىً أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وأحْسَنُ التضمين ما زاد على الأصل أمراً حسناً، كتورية، أو تشبيه، ومنه قول ابن أبي الإصبع مستغلاً شعر المتنبي لمعنى آخر غير الذي قصده:

إذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغْرَهَا "تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ"
وَيُذْكِرونِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدامِعِي "مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوابِقِ"

الشطران الأخيران في البيتين مطلع قصيدة للمتنبّي يمدح بها سيف الدولة، ولم يُنَبّه ابن أبي الإصبع على التضمين؛ لأن قصيدة المتنبّي مشهورة عند المشتغلين بالأدب.

الْعُذَيب وبَارق: موضعان بظاهر الكوفة مَجَرُّ عَوَالينا: أي: مكان جرّ الرماح، وحركة جرّها. ومَجْرى السَّوابق: أي: مكان جري الخيل السوابق، وحركةُ جريها.

فأخذ ابن أبي الإصبع من "الْعُذَيْب" معنى عذوبة ريق صاحبته، وأخذ من "بَارق" البريق الذي يُرَى من ثغرها، على سبيل التورية. وشبّه قدّها بحركة جرّ الرّماح، وشبّه جريان دمعهِ بِجَرْيِ الخيل السوابق.[1]

وقد يضمن الشاعر شعره بعض شطر، كقصيدة يبدأ فيها شاعر معاصر بمطلع طللي يحاكي فيه النابغة؛ يقول:

يا دار "ميّة" جادت بالدموع يدي

ردّي سؤالي، هل في الدار من أحد

وهذا المطلع مأخوذ من مطلع النابغة الذبياني الذي يقول:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها أعيت جوابا وما في الربع من أحد

[1] انظر/ البلاغة العربية، للميداني: ص٨٦٦.

العقد

العقد: هو نظم النثر؛ أي: أن ينظم الشاعر النثر لا على طريق الاقتباس.

-عقد القرآن.

كقول الشاعر:

أنلني بالذي استقرضت خطا وأشهد معشرا قد شاهدوه

فإن اللّه خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

معقود من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) (البقرة:٢٨٢)، حيث يحول الشاعر المنثور إلى منظوم.

-عقد الحديث:

ما ذكر الشافعي رضي اللّه عنه:

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البرية

اتق المشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية

عقد من عدة أحاديث ذكرها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صاغها الشاعر شعرا: (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات)، وقوله: (ازهد في الدنيا يحبك اللّه)، وقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقوله: (إنما الأعمال بالنيات.

-عقد الأقوال والنثر؛ كقول أبـي العتاهية:

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

عقد قول علي رضي اللّه عنه: وما لابن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة. ، فعقد المنثور من الاقوال وجعله شعرا.

وقول أبـي العتاهية أيضاً:

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً

عقَدَ في هذا البيت قول بعض الحكماء في الإسْكَنْدَر لمّا مات: كَانَ الْمَلِكُ أَمْسِ أنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْم، وهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسِ"، فعقد المنثور من الأقوال وجعله شعرا

الحل

أن ينثر الكاتب شعرا لغيره، فيحول الشعر إلى نثر مع مراعاة جمال الأسلوب وجزالته ورقته وأثره.

يقول أحدهم في شخص سيئ الظن حيث يقيس غيره على نفسه:

"فَإِنَّهُ لَمَّا قَبُحَتْ فَعَلاتُهُ، وَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ، لَمْ يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ يَقْتَادُهُ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ في الّذِي يَعْتَادُه".

حل الناثر شعر أبي الطيب المتنبّي الذي يقول فيه:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّم

أي: ما يتوهُّمُه من أنّ الآخرين أساءوا يُصَدِّقُ توهُّمَهُ فيهم، لأنَّهُ يقيسُهم على نفسه، وما يَعْتَادُه من سوء عَمَل.

ويقول الناثر في وصف قلم كاتب:

"فَلاَ تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إلاَّ فَخَرَتْ عَلَى الدُّوَل، وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ الْخَيْلِ والْخَوَلِ، وَقَالَ: أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَقْلاَمِ لاَ عَلَى الأَسَل".

حل الكاتب قول أبي الطيب مع رد مقالته ورفضها إذ رأي أن الممالك تبنى على العلم لا على الحروب؛ يقول أبي الطيب:

"أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ

وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ.

التَّلْمِيح

وهو أن يُشِيرُ الناثر أو الشاعر إلى قصة أو شعْرٍ أو نثرٍ ذكر ما أشار إليّه.

ومنه قول أبي تَمَّام:

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوباً عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرّكْبِ يُوشَعُ

فقد أشار إلى قصّة يُوشع عليه السلام على ما رُوي أنّه قاتل الجبّارين يوم الجمعة، فلمَّا أدبَرَتِ الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم، فدعا اللّه عزَّ وجلَّ فردّ له الشمس حتّى فرغ من قتالهم.

ومنه قول أبي تمّام أيضاً:

لَعَمْرُو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَظِي
أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ

يشير إلى البيت المشهور:

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِير مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّار

وقصة ذلك أنّ عمرواً تَرصَّدَ كُلَيْباً حتى ابتعد عن الحمى، فركب فرسه فأتبعه فرمَى صُلْبَهُ، ثُمَّ وقَفَ عليه فقال له: يا عَمْرو أغِثْنِي بِشَرْبَةِ ماءٍ فَأَجْهَزَ عليه، فمات، فقيل هذا البيت، فقد كان

يستجير به ليشرب فقتله وقضى عليه وصار مثلا؛ كالمستجير من هول إلى هول أشد وأقسى.

المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة.
- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، عام ١٩٦٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.
- البحث البلاغي عند العرب، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ت: أحمد عبد اللّه القرشي رسلان، د.حسن عباس زكي، القاهرة، ط ١٤١٩هـ.
- البديع، لعبداللّه بن المعتز، عناية وتعليق اغناطيوس كراتشقوفسكي، ط مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٤، عام ١٩٨٣ م.

- تحرير التحبير، في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف وإشراف محمد توفيق، لجنة احياء التراث الإسلامي.
- جوهر الكنز، ابن الاثير الحلبي، تحقيق: د.محمد زغلول سلام، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر.
- الحلة السيرا في مدح خير الورى، ابن جابر الأندلسي، تحقيق علي أبو زيد، عالم الكتب، بيروت، دمشق ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٤٢.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧.
- خصائص النظم في (خصائص العربية)، لأبي الفتح عثمان بن جني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- الخصائص، لابن جني، ت: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، ت: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام١٩٩٥م.
- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٦م.

- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: جلال الدين السيوطي، ت: إبراهيم الحمداني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- سنن ابن ماجه، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة
- صحيح الإمام البخاري، ت:محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة.
- صحيح الإمام مسلم، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- علم البديع دراسة تاريخيه وفنيه لأصول البلاغه ومسائل البديع، د.بسيوني عبد الفتاح، دار المعرفة ومؤسسة المختار، مصر.
- علم البديع: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ، بيروت، ط١.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين الأثير، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٩٥م.

- مجموع فتاوى ابن عثيمين، ت:فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، عام ١٤١٣هـ.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧ م.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٦٠٧.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد اللّه البيلي البدوي، نهضه مصر، القاهرة، عام ٢٠٠٥م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تمفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن الشريف، فخر الدين الرازي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.

محتوي الكتـــاب

محتوي الكتاب الالكتروني	الصفحة
أولا : الموضوعات : --------------------------	
ثانيا : الجداول : ------------------------	
ثالثا : الأشكال والصور : ------------------------	
رابعا : روابط الفيديو : -----------------------	
خامسا: قائمة المراجع :-------------------------	

أولا : الموضوعات	الصفحة
مقدمة	
التمهيد: نبذة عن تطورالمصطلح البديعي	٥
الفصل الأول: فنون البديع المعنوي	١٦
الطباق	١٧
المقابلة	٢٦
التورية	٣٠
التوجيه	٣٧

تجاهل العارف
.....
الإرصاد
.....
٤٦
مراعاة النظير
.....
تشابه الأطراف
.....
المشاكلة
.....
٦٠
حسن التعليل
.....
اللف والنشر
.....
المذهب الكلامي
..... ٨٣
تأكيد المدح بما يشبه الذم
..... ٩٠
تأكيد الذم بما يشبه المدح
..... ٩٥
الفصل الثاني: فنون البديع اللفظي
..... ٩٧
الجناس
.....
١٠٠
السجع/ الفواصل
..... ١٢٠
رد الأعجاز على الصدور
..... ١٣٥

لزوم ما لا يلزم .....
التصريع .....
١٤٥
الاقتباس .....
١٤٨
التضمين .....
١٥٣
العقد .....
١٥٦ ..
الحل .....
١٥٨ .
التلميح .....
١٥٩
المصادر والمراجع .....
١٦٠

ثانيا : الأشكال والصور	
شكل ١	
ثالثا الفيديو	
فيديو ١ فيديو ٢	